تأملات قرآنية

حول التقوى

الجزء الثاني

تأليف

سماحة العلامة

السيد صدر الدين القبانچي

إعداد وتحقيق

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

هوية الكتاب:

الكتاب: تأملات قرآنية حول التقوى/الجزء الثاني

المؤلف: السيد صدر الدين القبانچي

الناشر: مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

الطبعة: الأولى شعبان ١٤٢٧ هـ

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

السعر: ٧٥٠ دينار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله وأمينه على وحيه، الرسول الأمجد أبي القاسم محمّد 9 ، وعلى أخيه وابن عمّه ووصيّه على أمّته، إمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين أمير المؤمنين عليّ C وعلى أبنائه الميامين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

الحديث عن التقوى فكرةً وسلوكاً حديث شيّق ومهم في عصر تتكاتف فيه قوى الضلالة على مصادرة عقائدنا الإسلاميّة _ وأهمّها التقوى _ في محاولةٍ منها لسلب جماهيرنا المؤمنة الملتزمة أثمن وأخطر أسلحتها: «التقوى»، السلاح الذي أمكنها بواسطته أن تكتسح يوماً ما عروش كسرى وقيصر، دون أن تُعير اهتماماً لكنوز كسرى وقيصر، ودون أن يجتذب اهتمامها بريق تاج كسرى وقيصر، فتاج التقوى الذي تزدان به هامات المؤمنين كسف لمعان وبريق ذهب التيجان وجواهرها.

التقوى _ إذاً _ هي المَلَكة الأثمن والأعظم، ولم لا وهي الشرط الأساس لقبول الأعمال [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ]؛[1] وكيف لا

(١) المائدة: ٢٧.

وهي المؤهّل لمحبّة الله U [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ]؛[1] ناهيك عن الأجر العظيم الذي ينتظر المتّقين، وقد قال تبارك وتعالى: [وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ].[2]

والكتاب الذي بين يدينا باقة عطرة فوّاحة تشتمل على تأمّلات قرآنيّة حول التقوى أُلقيت في خطب صلاة الجمعة لأكثر من عام من قِبل سماحة العلاّمة الحجة السيد صدر الدين القبانچي حفظه الله، ضمّنها عرضاً قرآنياً عن أبعاد التقوى وإشاراتها ودلالاتها، وتطرّق فيها إلى انعكاسات التقوى على مستوى الفرد والمجتمع، مؤكّداً على آثار التقوى وفوائدها، ومعرّجاً على مقامات المتّقين والبشارات الواردة في حقّهم، مصوّراً _ أبدع تصوير _ تجلّيات التقوى وصورها ومصاديقها في العدل والوفاء بالعهد والصدق.

ويسرّ مكتب إمام الجمعة في النجف الأشرف _ وهو يرى أنّ هذا الكتاب يمثّل أحد الردود الهامّة في مواجهة حملة التغريب الشرسة التي تستهدف عقائد المؤمنين وملكاتهم السلوكيّة _ أن يتصدّى لنشر هذا الكتاب وتقديمه في حلّة قشيبة ووضعه في متناول أيدي الاخوة المؤمنين؛ واللهَ تعالى نسأل أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه الخير والصلاح، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مكتب إمام الجمعة في النجف الأشرف

(١) التوبة: ٤.
(٢) آل عمران: ١٧٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

وبعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه وآله الأطهار.

فهذا هو الجزء الثاني من (تأملات قرآنية حول التقوى) يتضمن ثلاثين تأملاً حول التقوى كنّا قد عرضناها في خطبة صلاة الجمعة في النجف الأشرف وخلال أكثر من عام.[1]

هذا وقد سبق ان صدر الجزء الأوّل من هذه التأملات والذي تضمن هو الآخر ثلاثين تأملاً.

وكما أسلفنا في مقدمة الجزء الأوّل فقد قمت بمراجعة هذه التأملات، وضمّ بعضها إلى بعض أحياناً حسب التناسب الموضوعي، وحذف المكرر منها ثمّ تقديمها للقارئ الكريم وأئمّة الجمعة الكرام راجياً أن أكون قد ساهمت بذلك في دعم مسيرة صلوات الجمعة ودورها في بناء الجيل الجديد على أسس قرآنية صحيحة.

وأجد من اللازم عليَّ أن أتقدم بالشكر للاخوة في مكتب إمام جمعة النجف الأشرف للجهود التي قدموها في مراجعة وتحقيق هذه التأملات.

صدر الدين القبانجي

٨/ ربيع الثاني/ ١٤٢٧هـ

---

(١) بدءاً من ١٧/ ذو الحجة/ ١٤٢٥ وحتّى ٢٩/ شوال/ ١٤٢٦هـ.

التأمل الحادي والثلاثون:

جنّة المتقين وأبوابها

قال تعالى في كتابه الكريم: [هذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوابُ].(١)

أبواب الجنّة والنار:

القرآن الكريم يشير إلى حقيقة وهي أن الجنة التي أُعدّت للمتقين لها أبواب بمعنى مداخل، كما أن للسماء أبواباً كما في قوله تعالى: [فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ](٢) لكن تعدد هذه الأبواب ليس لسبب شدة الازدحام وإنما لسبب اختلاف المراتب والدرجات، أي أن الداخلين إلى الجنّة ليسوا على مستوى واحد، فمن الباب الأوّل يدخل جمع من الناس لهم مرتبة خاصة، وهكذا من الباب الثاني والثالث.

وكذلك جهنم لها أبواب، حيث يقول تعالى: [لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ](٣) لكل باب عنوان خاص من الناس، هذا الاختلاف في عدد الأبواب بين الجنّة والنار، فالجنّة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب يدل على حقيقة ربما لا نعلمها الآن.

(١) ص: ٤٩ و٥٠.
(٢) القمر: ١١.
(٣) الحجر: ٤٤.

عناوين الأبواب:

عن رسول الله 9 : «للجنّة بابٌ يدعى الريان لا يدخله إلاّ الصائمون»(١) هذا عنوان، وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله C قال: «للجنّة باب يقال له باب المعروف لا يدخله إلاّ من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا...»،(٢) وفي رواية عن رسول الله 9 : أن للجنّة أبواباً منها باب الصبر، وباب الشكر، وباب البلاء، أما الباب الأعظم فيدخل منه العباد الصالحون وهم أهل الزهد والورع الراغبون إلى الله U المستأنسون به».(٣)

ثمانية أبواب:

ويقول أمير المؤمنين C : «إن للجنّة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا، ... وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلاّ الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت».(٤)

نرجو أن نكون من حصة أحد الأبواب، ولكن هناك بعض الناس تفتح له جميع الأبواب يدخلون من أيّها شاءوا وذلك لعلوّ مرتبتهم ودرجاتهم عند الله تعالى.

* * *

(١) معاني الأخبار/ الصدوق: ٤٠٩/ ح ٩٠؛ بحار الأنوار/ المجلسي ٨: ١٩٤/ ح ١٧٥.
(٢) الكافي/ الكليني ٢: ١٩٥/ ح ١٠.
(٣) أنظر نص الرواية في أمالي الصدوق: ٧٩/ ح ٣١٠/ ١.
(٤) الخصال/ الصدوق: ٤٠٨/ ح ٦.

التأمل الثاني والثلاثون:

الآخرة دار المتقين

قال تعالى: [لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ].(١)

الآخرة أفضل من الدنيا:

يؤكد القرآن الكريم كما في هذه الآية على حقيقة مكررة في العديد من النصوص القرآنية وهي أن الآخرة خير من الدنيا للذين آمنوا واتقوا، وهذه الآية تتحدث عن جنّات عدن، ولقد فسّرها المفسرون بالجنّات التي يقيم فيها أهلها بشكل دائم كالمعادن في باطن الأرض لرسوخها وثباتها فيها، والله تعالى وعد المتقين جنّات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار.

يؤكد القرآن أن الآخرة خير لكم من الدنيا، قال تعالى:

[قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى].(٢)

[وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى].(٣)

---

(١) النحل: ٣٠ و٣١.

(٢) النساء: ٧٧.

(٣) الضحى: ٤.

[وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ].(١)

العبارة الأخيرة في الآية السابقة [أَفَلا تَعْقِلُونَ] تعني أنه لو كان للعباد عقل لعرفوا أن الآخرة خير من الدنيا التي لا قيمة لها ازاء الآخرة، كقوله تعالى: [وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ](٢) أي إن الآخرة وثواب الله خير من البيع والتجارة ومن كل الدنيا.

روي عن رسول الله 9 : «لَموضِعُ سوطٍ في الجنّة خيرٌ من الدنيا وما فيها»(٣) يعني أن متراً مربعاً في الآخرة خير من الدنيا وما فيها، إذن كم هي عظيمة الآخرة!؟

فضل الجمعة:

وعن رسول الله 9 في فضل يوم الجمعة قال: «أما يوم الجمعة فيوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فما من مؤمن مشى فيه إلى الجمعة إلاّ خفّف الله عليه أهوال يوم القيامة، ثمّ يؤمر به إلى الجنّة».(٤)

أليس هذا خير من الدنيا وما فيها.

وقال 9 أيضاً عن فضائل يوم الجمعة: «لا يسأل الله عبدٌ فيها خيراً إلاّ أعطاه»(٥) لأنها ساعة استجابة الدعاء.

وقال الصادق C : «ليتزين أحدكم يوم الجمعة، يغتسل

---

(١) يوسف: ١٠٩.

(٢) الجمعة: ٩.

(٣) مسند أحمد ٥: ٣٣٠.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ٢٩٨/ ح ٩/٩٣٩٠.

(٥) من لا يحضره الفقيه ١: ٤١٤/ ح ١٢٢٥؛ بحار الأنوار ٨٦: ٢١٧.

ويتطيب ويسرح لحيته ويلبس أنظف ثيابه وليتهيأ للجمعة وليكن عليه في ذلك اليوم السكينة والوقار، وليحسن عبادة ربه، وليفعل الخير ما استطاع، فإن الله يطّلع على الأرض ليضاعف الحسنات».[١]

الآن نحن في ساعة ينظر الله إلينا ويطّلع علينا ويضاعف لنا الحسنات، فنرجوك يا إلهنا أن لا تنظر إلى سيئاتنا وحقارتنا وسوء نياتنا، بل انظر إلى صلاة الجمعة التي تحبها وتقبلها منا، نعوذ بالله أن يطّلع على سوء نوايانا وسرائرنا، ونرجوه بفضله إن حضرنا صلاة الجمعة أن يضاعف لنا الحسنات ويذهب عنا السيئات.

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين ويرزقنا الجنّة التي وَعدَ بها المتقين.

* * *

(١) الكافي ٣: ٤١٧/ ح ١.

التأمل الثالث والثلاثون:

التقوى لباس وحصن ودواء

قال الله تعالى: [يا بَني آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُواري سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ].[١]

التقوى التي هي وصية الأنبياء توصف في النصوص الشريفة تارة بأنها لباس وتارة بأنها حصن وتارة بأنها دواء.

التقوى حصن:

أمير المؤمنين C يقول: «التقوى حصنٌ حصين».[٢]

ويقول أيضاً: «إن تقوى الله دواء داء قلوبكم»،[٣] يعني أن هناك مرضاً يحتاج إلى دواء وهو التقوى، ويعني أن هناك خطراً يحتاج إلى ملجأ نلجأ إليه في الدنيا، إننا لا ندرك هذا الخطر ولا نشاهده، ولكن الروايات تقول أن هناك حصناً حصيناً لمن لجأ إليه وهو التقوى.

يعني: أيها الناس: إن أمامكم خطراً، فلا بدّ من اللجوء إلى هذا الحصن الحصين وهو التقوى، وهناك داء وبيل فلا بدّ من اللجوء إلى الدواء وهو التقوى.

(١) الأعراف: ٣٦.
(٢) تحف العقول: ٢٢٣؛ بحار الأنوار ٧٥: ٦٢.
(٣) نهج البلاغة ٢: ١٧٣/ خ ١٩٨.

التقوى لباس:

والتقوى لباس، حينما يقول القرآن الكريم: [وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ] يعني أن هناك لباسين: لباس ظاهر للأبدان من القطن أو الصوف أو غيره يوفر الوقاية من البرد أو الحر وهو زينة ويستر عوراتنا، ولباس باطن وهو لباس القلوب، يقول القرآن إنه خير أي إنه أفضل من اللباس الظاهر كما يقول: [وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ].[١]

كيف أصبح لباس الباطن أفضل من لباس الظاهر؟

أكثر الناس لا يدرك ذلك، فأنت حينما تسأل شخصاً: هل يمكن أن تمشي بدون ملابس؟ يجيب: لا، ولكنه مستعد لأن يمشي بدون ملابس باطنةٍ لأنه لا يدرك ما هو المرض وما هي الشدائد يوم القيامة، إنه غير مستعد لترك الملابس الظاهرية في الدنيا ولكنه مستعد أن يعيش آلاف السنين في الآخرة بلا ملابس وبلا حصن وبلا دواء لأنه جاهل.

لباس التقوى خير:

حينما يؤكد القرآن الكريم والروايات على أن لباس التقوى خير تشير إلى أن شدائد يوم القيامة أكثر من شدائد الدنيا.

يقول أمير المؤمنين C: «فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وجليل وقوع المكاره فيها، وهو بلاءٌ تطول مدته ويدوم مقامه، ولا يخفف عن أهله لأنه لا يكون إلاّ عن غضبك وانتقامك وسخطك،

(١) البقرة: ٢٢١.

وهـذا مـا لا تقـوم لـه الـسماوات والأرض»،[١] فالـسماوات والأرض لا تتحمل شدائد القيامة فكيف بي أنا الإنسان الضعيف؟

ثمّ تقول الآية: [يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما]،[٢] أنتم لا تقبلون هذا المشهد عندما نزع إبليس عن آدم وحواء لباسهما ليريهما سوءاتهما، هذا مشهد قبيح، ولكن اعلموا أيها الناس أن الشيطان ينزع لباسكم وأنتم لا تشعرون، حينما ترتكبون المعصية تكونون كالإنسان بلا ملابس، ولكن هذه الحقيقة تنكشف يوم القيامة، فالإنسان بدون تقوى يكون عارياً من كل صفات الكرامة والجلالة وما يقيه من الحر والبرد والنار والعذاب.

يناجي الله سبحانه موسى C : «كن خَلِقَ الثياب جديد القلب»،[٣] فلا مشكلة عندما يكون الإنسان خَلِقَ الثياب وفقيراً لكن قلبه يجب أن يكون سليماً حياً يقظاً [يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ].[٤]

يقول الإمام عليّ C : «من تعرّى من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس»،[٥] فالذي لا يملك التقوى لا يستره شيء، وإن رأيته مستوراً في الدنيا فإنه في الآخرة عار لا يستره شيء.

* * *

---

(١) من دعاء رواه كميل بن زياد عن أمير المؤمنين C ، أنظر: مصباح المتهجد: ٨٤٤/ ح ٩١٠/ ٢٥.
(٢) الأعراف: ٢٧.
(٣) الكافي ٨: ٤٢/ ح ٨.
(٤) الشعراء: ٨٨ و٨٩.
(٥) تحف العقول: ٨٨.

التأمل الرابع والثلاثون:

المعاد الجسماني والروحاني

قال تعالى: [الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ].[1]

غرف الجنّة:

حينما يتحدث القرآن الكريم عن عاقبة المتقين في الجنّة يذكر تارة بأن هناك غرفاً وأخرى أن هناك خياماً وثالثة أن هناك قصوراً.

قال تعالى: [وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ].[2]

وقال أيضاً: [حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ].[3]

وقال أيضاً: [تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً][4] إذن توجد في الجنّة غرف وخيام وقصور، فإذا كنت على ساحل البحر تحتاج إلى خيام، واذا كنت في داخل المدينة تحتاج إلى غرف ذات طوابق، وهناك أيضاً قصور، وهذه تجتمع لإنسان واحد إذا استحق كل ذلك، والبعض

(١) الزمر: ٢٠.

(٢) سبأ: ٣٧.

(٣) الرحمان: ٧٢.

(٤) الفرقان: ٨.

يملك إحدى هذه الدّرجات وحسب الاستحقاق،ومحل الشاهد هو أن القرآن يقول: [غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ] مما يعني أن هناك بناءاً.

المعاد الجسماني:

وهذا يفتح لنا الباب للحديث عن مسألة عقائدية قرآنية يذكرها العلماء ألا وهي المعاد الجسماني والمعاد الروحاني يوم القيامة.

هل أن المعاد جسماني بحيث يعود البدن هناك والأشجار والنخيل والطيور والأنهار وغير ذلك من النعيم المذكور في الجنّة، أم أن المسألة هي معاد روحاني أو روحي يقع باجتماع الأرواح وهذه الأرواح تسعد وتنعم في الآخرة بدون أجساد؟

وهذا البحث ليس مهماً جداً، فسواء أكان المعاد روحانياً أم جسمانياً فالنتيجة واحدة، لكن بما أن الإنسان توّاق للمعرفة ويريد أن يعرف مصيره وآخرته فهو يسأل عن ذلك المعاد هل هو بالجسم المادي الدنيوي؟

دلائل قرآنية:

الدلائل القرآنية تشير إلى أن المعاد يوم القيامة جسماني لكنه ذو قدرة مطلقة، فأنت تطير أينما تشاء وتأكل ما تشاء وترى ما تشاء وليس بحدود البدن الدنيوي.

قال تعالى: [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ].[1]

وقال تعالى: [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ][2] إذن هناك وجوه في الجنة مبيضّة وهناك وجوه في النار مسوّدة.

(١) القيامة: ٢٢ و٢٣.

(٢) آل عمران: ١٠٦.

وقال تعالى: [وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ][1] إذن هناك جلود.

وقال تعالى: [كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ].[2]

وقال تعالى: [فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ].[3]

وهذا كله يدل على المعاد الجسماني لكن بقدرات مطلقة حينما يقول: [لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ] وهذا حديث واسع، يقول القرآن: [لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] يعني أن الأشجار والبساتين مطلّة على الأنهار لا أن الأنهار تجري من تحت تلك البساتين والأشجار فإنه تصور خاطيء.

الوعد والوعيد:

ثم قال تعالى: [وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ] هناك وعد وهناك وعيد،والوعد للخير والوعيد للشر، والله تعالى لا يخلف الميعاد، وهناك وعد للمتقين بالجنّات والنعيم، ولكن هناك وعيد للفاسقين بالنار، ولكن يمكن أن يعفو عنهم فله المشيئة بالتعذيب والعفو، فيمكن التخلف عن الوعيد دون الوعد، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتقين ويجعل نصيبنا هذه الجنات التي تجري من تحتها الأنهار.

* * *

---

(١) فصلت: ٢١.

(٢) النساء: ٥٦.

(٣) الرحمان: ١١.

التأمل الخامس والثلاثون:

أخلاق المتقين

قال الله تعالى: [وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ].[1]

التقوى لا تنعكس فقط على الممارسة العبادية للإنسان كالصلاة والصوم وإنما هناك بُعد أخلاقي للتقوى، لاحظوا الآية في سورة آل عمران تصف المتقين: [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ][2] فإنها تصف المتقين بصفات أخلاقية في السلوك الشخصي وفيما بين الإنسان وأخيه الإنسان، يعني أن التقوى يجب أن تتجسد في ممارستنا الأخلاقية.

أمير المؤمنين C يقول: «التقى رئيس الأخلاق»،[3] فمن لا أخلاق له لا تقوى له، والذي يقول أنا لديّ تقوى بدون أخلاق فإنه في الحقيقة قد حافظ على الاطار بدون محتوى، يعني حافظ على القشر دون اللب والجوهر.

---

(١) آل عمران: ١٣٣ و١٣٤.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٩٦/ ح ٤١٠.

علامات المتقين:

لاحظوا في رواية أخرى عن الإمام عليّ C يقول: «إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها».

تأملوا هذه العلامات فإنه لم يشر فيها إلى الصلاة أو الصوم وإنما إلى جوانب أخلاقية، الصلاة عمود الإسلام، والصوم جُنّةٌ من نار، لكن هذه المرة أمير المؤمنين C يصف المؤمن المتقي في أخلاقه وسلوكه مع أهله والجيران والمدرسة والمراجعين في الدائرة والصديق وحتّى من يؤذيه أيضاً بقوله:

«إن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد وقلة الفخر والبخل، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلة المواتاة للنساء، وبذل المعروف، وحسن الخُلق، وسعة الحلم، واتباع العلم في ما يقرّب إلى الله U...»[1] هذه الصفات والعلامات يجب أن يتصف بها المتقي، بدون هذه الصفات لا يكون للتقوى جوهر حقيقي.

أخلاق الإمام السجاد C:

إمامنا زين العابدين C كما تذكر الروايات كان قد أساء إليه أحد أرحامه وهو الحسن بن الحسن وشتم الإمام، فقال لأصحابه: إمضوا بنا نذهب إليه، قالوا: لما كان الإمام زين العابدين C في الطريق سمعناه يردد قوله تعالى: [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ]

---

(١) الخصال: ٤٨٣/ ح ٥٦.

فتوقع أصحاب الإمام أنه سيصفح عن هذا الرجل، وعندما وصلوا إلى باب الرجل طرق الإمام الباب، فصاح الرجل: من الطارق؟ فقال الإمام لأصحابه: قولوا له: هذا عليّ بن الحسين، وعندما سمع الرجل ذلك خرج متوثباً إلى معركة، فلما فتح الباب قال له إمامنا: يا أخي إن كان ما قلته وشتمتني به فيّ فأنا أستغفر الله، وإن لم يكن فيّ فغفر الله لك. تقول الرواية أن هذا الرجل أُسقط ما في يديه واعتذر من الإمام وقال: أنا أحقّ بما قلته، تلك الشتائم التي شتمتك بها أنا أولى بها.(١)

واخطأت جارية من جواري الإمام زين العابدين C ، فنظر إليها الإمام C نظرة المعاتب على خطئها.

فقالت له: إن الله يقول: [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ].

قال: قد كظمت غيظي.

قالت: [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ].

قال: عفا الله عنك.

قالت: [وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ].

قال: اذهبي فأنت حرّة.(٢)

أيها المؤمنون، أيتها المؤمنات: حينما نتكلم عن التقوى فإنه ليس مجرد شعار ولا مجرد صلاة أو صيام، التقوى بمعنى أخلاق، وحسن تعامل مع من يحسن لك ويسيء، المؤمن يجب أن يكون قمّة في الأخلاق مع الآخرين.

---

(١) أنظر نص الرواية في الإرشاد ٢: ١٤٥.

(٢) السابق.

[وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ].(١)

* * *

---

(١) آل عمران: ١٣٣ و١٣٤.

التأمل السادس والثلاثون:

التقوى ونظرية استلاب الذات

قال تعالى: [يا بَني آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُواري سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ].(١)

حديثنا اليوم عن لباس التقوى، حيث هناك نوعان من اللباس، اللباس المادي واللباس المعنوي، لباس للأبدان ولباس للقلوب.

النظرية الإسلاميّة:

النظرية الإسلاميّة تقول أن الإنسان مؤلف من ماديات ومعنويات فيحتاج إلى نوعين من الملابس:

الأوّل: الملابس المادية التي تستر عيوبه المادية وتظهر جماله المادي.

والثاني: الملابس المعنوية التي تستر عيوبه المعنوية وتظهر جماله المعنوي.

إن الملابس المعنوية أفضل من الملابس المادية، وإن الإنسان بدون المعنويات مثل الإنسان العاري من الملابس، فبدون تقوى القلب والروح يُرى الإنسان عارياً من الملابس المعنوية.

ففي العالم لا يوجد أحد يشكك في ضرورة الملابس المادية وأنها

(١) الأعراف: ٢٦.

تظهر كمال وجمال الإنسان وتستر قبائحه المادية، لكن في الملابس المعنوية اختلفت النظريات، وإن الوجدان البشري المعتدل يقول أن الإنسان بحاجة إلى معنويات فلا بدّ من كرم وصدق وصلة رحم وقانون اجتماعي وأُلفة ومحبة وعدالة واحسان وغيرها من الأخلاق الحميدة.

الإنسان يولد عارياً من الملابس المادية والمعنوية، وهو لا يدرك أهمية هذه الملابس بنوعيها، وكلما يكبر يبدأ بالتعرف على حاجته إلى الملابس المادية أوّلاً ويبدأ بطلبها ولا يخرج عارياً أمام الناس، وبعدها يطلب الملابس المعنوية والمتمثلة بالأُلفة والمحبة والروابط الاجتماعية الحسنة التي تسود المجتمع.

نظرية استلاب الذات:

لكن برزت في هذا العصر نظريات نادرة تقول أن الأعراف الاجتماعية والطقوس الدينية هي قيود ثقيلة على الإنسان يجب التحرر منها، هذه هي نظرية (استلاب الذات) حيث تدعو الإنسان للتجرد من كل شيء سوى الغريزة التي كانت معه أيام الطفولة.

هذه النظرية شاذة، فالفطرة تدعو الإنسان إلى الستر والتحلي بالأخلاق المعنوية وهو لباس التقوى الذي يشير إليه القرآن بقوله تعالى: [وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ].

نظرية التكامل المعنوي:

وهذه النظرية الإسلاميّة تسمى نظرية التكامل المعنوي، يعني أن الإنسان يتكامل بدنياً وروحياً.

دور الشيطان:

إن دور الشيطان هو إسقاط الملابس المعنوية بحيث يبقى الإنسان عارياً من الكمالات والمعنويات التي يتكامل بها.

قال تعالى: [يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ][1] أيها الإنسان إن الشيطان يريد أن ينزع عنكم لباس التقوى والخلق الحسن والحياة السعيدة ويصبح الإنسان بلا قيم وبلا أعراف صحيحة.

لباس آدم وحواء:

وحول نزع لباس آدم وحواء من قبل الشيطان هل نزع عنهما اللباس المعنوي أم المادي؟

الظاهر من الروايات أنه نزع عنهما اللباس المعنوي حيث تورطا في الخطيئة وفقدا لباس التقوى، رغم أن الآيات القرآنية تصور لنا الموضوع بصورة مادية، لكن الفهم الدقيق للآيات يشير إلى معنى آخر وهو أن آدم وحواء لما ارتكبا الخطأ انكشف لهما القبح المعنوي لنفسيهما وهما بدون لباس مادي يستر العورة، وهذا هو قوله تعالى: [فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما][2] مع أن السوأة كانت بادية لهما من قبل، ولكن الآن وبعد انكشاف القبح المعنوي أدركا القبح المادي فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة، والله العالم.

(١) الأعراف: ٢٧.
(٢) طه: ١٢١.

ولهذا على الإنسان أن يعرف أنه عارٍ بلا لباس عندما يتجرد من التقوى ويدخل في المعصية.

حلية الصالحين:

لهذا نحن نقرأ في دعاء الإمام زين العابدين C المعروف باسم دعاء مكارم الأخلاق: «اللهم وحلّني بحلية الصالحين وألبسني زينة المتقين».[1]

إذن هناك لباس وزينة للمتقين، يعني أيها الرجال والنساء كما يفكر أحدكم بجمال ملابسه ومظهره فليفكر أحدكم بجمال قلبه وخلقه وروحه، لأنكم تحشرون على نيّاتكم وقلوبكم وليس على صوركم، فربَّ إنسان قبيح المنظر ولكنه ذو قلب نوراني يدخل به الجنّة في أعلى علّيين.

عشرون صفة للباس المتقين:

نسأل الإمام زين العابدين C عن صفات لباس المتقين ليضفي علينا زينة وبهاءاً وجمالاً.

يجيب الإمام C وفي نفس الدعاء هناك عشرون صفة في ملابس المتقين وهي: ١ _ بسط العدل، ٢ _ كظم الغيظ، ٣ _ إطفاء النائرة، ٤ _ ضم أهل الفرقة، ٥ _ إصلاح ذات البين، ٦ _ إفشاء العارفة، ٧ _ ستر العائبة، ٨ _ لين العريكة، ٩ _ خفض الجناح، ١٠ _ حسن السيرة، ١١ _ وسكون الريح، ١٢ _ طيب المخالقة، ١٣ _

(١) الصحيفة السجادية: ١١٠/ دعاء رقم ٥٥/ (تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي C).

والسبق إلى الفضيلة، ١٤ _ إيثار التفضل، ١٥ _ ترك التعيير، ١٦ _ والإفضال على غير المستحق، ١٧ _ القول بالحق وإن عزّ، ١٨ _ والصمت عن الباطل وإن نفع، ١٩ _ إستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي، ٢٠ _ إستكثار الشر وإن قلّ من قولي وفعلي.

يجب أن نرى أنفسنا دائماً مقصرين في حق الله وحق الآخرين، وعلينا الاهتمام بهذه الصفات الجميلة التي يذكرها الإمام عند وصفه للباس المتقين.

«اللهم وحلني بحلية الصالحين وألبسني زينة المتقين في بسط العدل و...».

* * *

التأمل السابع والثلاثون:

التقوى والعلم

قال تعالى: [وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ].(١)

هذه المرة يبين القرآن ربطاً بين التقوى والعلم.

فمرة يتحدث عن التقوى والرزق، قال تعالى: [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ].(٢)

ومرة عن التقوى واليسر، قال تعالى: [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً].(٣)

أما في هذه الآية فهو يتحدث عن الربط بين التقوى والعلم، حيث قال: [وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ]، والعلم هبة إلهية كالبصر والسمع والعقل.

طريقان لتحصيل العلم:

وللحصول على العلم يوجد طريقان:

الأوّل: الطريق الكسبي والتعليمي.

والثاني: الطريق الإلهامي.

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) الطلاق: ٢ و٣.

(٣) الطلاق: ٤.

والأوّل يكون عن طريق الدراسة والتعلم وهو الطريق المتعارف لدى عامة البشر، وهناك طريق آخر للعلم هو الطريق الإلهامي، قال تعالى: [وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ](١) هذا ما حصل ليوسف C عندما علّمه الله تأويل الأحاديث وتفسير الرؤيا في السجن من دون معلم من خلال تقواه وورعه حينما راودته التي هو في بيتها، وتفضل عليه الله بالعصمة، قال تعالى على لسان يوسف: [ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ].(٢)

وهكذا في قصة الخضر وموسى H ، قال تعالى: [فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً](٣) فقد كان للخضر علماً إلهامياً وليس تعليمياً.

حقيقة العبودية:

وكذا في قصة السائل الذي جاء للإمام الصادق C ليتعلم لديه وهو عنوان البصري، فقال له الإمام C : (إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أوّلاً في نفسك حقيقة العبودية.(٤)

إذن العلم هو الآخر يرتبط بالتقوى، والله تعالى يمكن أن يعلّم الإنسان مباشرةً إذا اتقى.

---

(١) يوسف: ٦.

(٢) يوسف: ٣٧.

(٣) الكهف: ٦٥.

(٤) بحار الأنوار ١: ٢٢٥/ ح ١٧.

وزن الماء:

وفـي قـضية أخـرى جـاء سـائل للإمـام الجـواد C وقـال لـه: إن شـيعتك تـدعي أنـك تعلـم مـاء دجلـة ووزنـه، فقـال لـه الإمـام: يقـدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا؟ قال: نعم يقدر.

فقـال لـه الإمـام: «أنـا أكـرم علـى الله تعـالى مـن بعوضـة، ومـن أكثـر خلقه»[1] فأعطاني هذا العلم فلماذا تشك في قدرة الله تعالى.

* * *

(١) عيون المعجزات: ١١٣؛ عنه بحار الأنوار ٥٠: ١٠٠.

التأمل الثامن والثلاثون:

التقوى عامل النجاة من جهنم

قال تعالى: [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا].[1]

الورود في نار جهنم:

هاتان الآيتان فيهما تحذير وتبشير، التحذير بأنكم أيها الخلائق جميعاً واردون نار جهنم وهذا تحذير، أما التبشير فهو نجاة المتقين من النار.

[وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا].

في الآية أربعة محاور تستحق الوقوف عندها:

المحور الأوّل: التحذير:

العلماء والمفسرون وقفو عند هاتين الآيتين طويلاً، فما معنى أن كل الخلائق يردون نار جهنم كما تقول الآية الكريمة، فكانت هناك عدة تفاسير:

التفسير الأوّل:

بعض المفسرين قال: إن كلمة واردها ليس بمعنى داخلها وإنما الورود على الشيء يعني الوقوف عنده والاشراف عليهم، تقول:

(1) مريم: ٧١ و٧٢.

وردت نهر الفرات ليس بمعنى انك دخلت نهر الفرات بل بمعنى وقفت عليه، فيكون معنى الآية ان كل الخلائق يشاهدون جهنم، ولكن بعض منهم يقع فيها وهم الظالمون وبعض منهم ينجو منها وهم المتقول: [ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا].

التفسير الثاني:

يبقي الآية على ظهورها فالورود يعني الدخول، وقوله: [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها] يعني وإن منكم إلاّ داخل جهنم، ستدخلون جهنم ثمّ الظالمون يبقون في جهنم ويخرج المتقون.

هناك روايات عديدة عن رسول الله 9 تؤيد هذا المعنى يقول 9 : يرد النار النار ثمّ يصدرون _ أي يخرجون _ بأعمالهم فأوّلهم يدخل النار ويتخلص منها ويخرج منها ويعبر عليها بسرعة مثل البرق في السماء في أقل من ثانية ويجوز على الصراط المستقيم، وهناك آخرون مؤمنون أيضاً يعبرون جهنم بسرعة لكن كسرعة الرياح، ثمّ قسم ثالث يعبرون على جهنم ويتخلصون منها بسرعة حضر الفرس يعني بسرعة الفرس المسرع.

ثمّ القسم الرابع يمرون عليها بسرعة الراكب، ثمّ القسم الخامس كشد الرجل عندما يركض، القسم السادس كمشي الرجل، هذه مراتب الناس.[1]

(1) عن رسول الله 9 قال: «يرد الناس النار، ثمّ يصدرون بأعمالهم، فأوّلهم كلمح البرق، ثمّ كمرّ الريح، ثمّ كحضر الفرس، ثمّ كالراكب، ثمّ كشد الرجل، ثمّ كمشيه»، أنظر: روضة الواعظين: ٣٥٣؛ وبحار الأنوار ٨: ٢٤٩.

وسئل رسول الله 9 عن قوله تعالى: [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها]. فقال: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة».(١)

وفي الرواية عن رسول الله 9 : ان النار تقول للمؤمن يوم القيامة: جزني فقد أطفأ نورك لهبي.(٢)

التفسير الثالث:

بعض المفسرين يقولون بما ان هذه الآية غير قابلة للتصديق فإنها منسوخة بقوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ].

المحور الثاني: التبشير:

هذا كله في المقطع الأوّل من الآية وهو التحذير ونأتي للمقطع الثاني التبشيري وهو قوله: [ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا] هذا التبشير خاص بالمتقين فإنه تعالى ما قال: ثمّ ننجي الذين اسلموا ولا ثمّ ننجي الذين آمنوا وإنما قال: [ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا] وهذا المعنى يتكرر مرة ثانية في سورة الزمر حيث قال تعالى: [وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ].

اللهم اجعلنا من المتقين واجعلنا من الفائزين وأبعد عنا نار

(١) أنظر: بحار الأنوار ٨: ٢٥٠.

(٢) أنظر: بحار الأنوار ٨: ٢٤٩.

جهنم التي أعددتها للكافرين، للجاحدين، للظالمين. اللهم نحن آمنا بك فخلصنا من النار ولهبها.

كان أمير المؤمنين C يقف باكياً ويقول:

«آه آه من نار [لَظى * نَزَّاعَةً لِلشَّوى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى]، آه آه إذا قيل: [خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ]».

المحور الثالث: دخول جهنم:

المحور الثالث: [كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا] فما معنى ان الله قضى على العباد بالورود في جهنم؟

معنى القضاء الحتمي هو أن الله فرض على نفسه وأوجب على نفسه كما يقول تعالى: [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ](١) فلا أحد فرض ذلك على الله بل الله كتب على نفسه الرحمة بالعباد، وهو قرار إلهي وحتمي.

المحور الرابع: خلود الظالمين:

هو قوله تعالى: [وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا] يعني أن الله يترك الظالمين في جهنم جاثين على ركبهم، والظالمون هم الكفار والمنافقون، فإن الشرك بالله تعالى من أعظم مصاديق الظلم.

قال تعالى على لسان لقمان: [يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ].(٢)

(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) لقمان: ١٣.

الخلود في النار:

السؤال المطروح الآن هو: كيف نفسّر الخلود في النار لأهل النار، والخلود في الجنّة لأهل الجنّة؟

أما الخلود في الجنّة فلا مشكلة فيه من الناحية الفلسفيّة فهو من رحمة الله تعالى بالعباد، لكن الخلود في عذاب جهنم يحتاج إلى تفسير وإيضاح.

بعض الآيات القرآنية تقول: [خالدينَ فيها أَبداً].[١]

وفي آية أخرى: [خالدينَ فيها ما دامَت السَّماواتُ وَالأَرْضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ][٢] وماذا يعني هذا الاستثناء بقوله: [إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ]؟ هل يعني خروج الكافرين من النار؟ وهذا خلاف الآية التي تقول: [خالدينَ فيها أَبداً] وخلاف الاجماع الإسلامي على الخلود في الجنّة والنار.

لقد ذكر المفسرون عشرة تفاسير لإثبات أن هذا الاستثناء لا ينافي الخلود في الجنّة والنار.[٣]

لقد ورد في دعاء كميل بن زياد المروي عن الإمام عليّ C : «لكنك تقدست أسماؤك أقسمت أن تملأها من الكافرين من الجنّة والناس أجمعين، وأن تخلد فيها المعاندين».

ونختم هذا الحديث برواية عن رسول الله 9 أنه قال: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار قيل: يا أهل الجنّة فيشرفون وينظرون، وقيل: يا أهل النار فيشرفون وينظرون، فيجاء بالموت كأنه

(١) الأحزاب: ٦٥؛ الجن: ٢٣.

(٢) هود: ١٠٧.

(٣) أنظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي ٥: ٣٣٣؛ تفسير الميزان ١١: ٣٠.

كبش أملح، فيقال لهم: تعرفون الموت؟ فيقولون: هو هذا، وكل قد عرفه، فيُقدّم ويُذبَح.

ثمّ يقال: يا أهل الجنّة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذٍ ميتاً لماتوا فرحاً، ويشهق أهل النار شهقاً لو كان أحد ميتاً لماتوا».[١]

مشكلة فلسفية:

وهناك مسألة فلسفية للخلود في النار، كيف يخلد الإنسان في العذاب؟ مليون أو أكثر من السنين في النار، أو إلى الأبد.

أين هذا من رحمة الله؟

كنت أفكر في هذه المسألة إلى أن سُجنت عام ١٩٧٩ للميلاد في سجون الطاغية صدام في بغداد وفي زنزانات انفرادية، في بابها فتحة صغيرة لادخال الطعام ومراقبة السجناء، وكان من وراء هذا الشباك الصغير طفل صغير يبدو أنه ابن الطباخ الذي يوزع الطعام فقلت له: اذهب واجلب لي قدح ماء، فذهب وعاد بعد فترة وقال لي: إن الشمر لا يقبل أن أسقيك ماءاً، وهو يعني بالشمر السّجان، إن قساوة قلوب هؤلاء تجعلهم لا يستحقون العيش إلاّ في النار، فإن قلوبهم نارية وأنفسهم نارية، أمثال صدام والبعثيين المجرمين، وهنا عرفت الجواب على مسألة الخلود في النار لأمثال هؤلاء، فذاتهم تأبى العيش إلاّ في جهنم كالأشواك التي لا تنمو إلاّ في الصحراء القاحلة، وكالعقرب الذي لا يعيش إلاّ في رمال الصحراء.

(١) بحار الأنوار ٨: ٣٤٤.

الإمـام الـصادق يقـول: «إنمـا خُلـد أهـل النـار فـي النـار لأن نيـاتهم كانـت فـي الـدنيا أن لـو خلـدوا أن يعـصوا الله أبـداً، وإنمـا خلـد أهـل الجنّـة فـي الجنّـة لأن نيـاتهم كانـت فـي الـدنيا أن لـو خلـدوا فيهـا أن يطيعـوا الله أبداً».[1]

إذن النيـات هـي وراء اسـتحقاق هـؤلاء الجنّـة الأبديـة واسـتحقاق أولئك النار الأبدية.

نعوذ بالله من النار ونسأله الجنّة.

* * *

---

(١) الكافي ٢: ٨٥/ باب النية/ ح ٥.

التأمل التاسع والثلاثون:

التقوى في العلاقات الأسرية

قال تعالى في كتابه الكريم: [يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً] (1) إنها الآية الأولى من سورة النساء وتتحدث عن التقوى في السلوك الزوجي والأسري والمنزلي ضمن خمس وثلاثين آية من مطلع السورة باتجاه تنظيم العلاقة الأسرية على أساس التقوى والإحسان.

إن التقوى في السلوك الزوجي تتلخص في قوله تعالى: [وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً]. (2)

ثمّ تتحدث السورة عن تنظيم العلاقة الاجتماعية بدءاً من الآية ٣٦ حيث قال تعالى: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً] ثمّ قال: [وَبِذِي الْقُرْبى] ثمّ قال: [وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ] ثمّ قال: [وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ وَالصّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ] فالمطلوب الإحسان مع كل هذه الدوائر الاجتماعية والتي هي أوسع من دائرة البيت والأسرة.

---

(1) النساء: ١.

(2) النساء: ١٩.

أسس العلاقات الاجتماعية:

الإسلام يبني العلاقات الأسرية، ثم يتحول إلى دائرة العلاقات الاجتماعية على أساسين:

الأوّل: العدالة، وهي عبارة أخرى عن الابتعاد عن الظلم والتطرّف والورع عن التعدي على الآخرين، وهذا هو التقوى.

الثاني: الإحسان، وهو خطوة متقدمة على التقوى وأعلى وأفضل منها، فلا يكفي أن يكون الإنسان متّقياً عادلاً، بل يجب أن يكون محسناً للآخرين.

فلسفة العلاقات الاجتماعية:

هذا الموضوع يتحدث عن فلسفة التقوى في الأسرة والمجتمع، فالآية تقول: [اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ] أي أنتم شيءٌ واحد وكيانٌ واحد وشجرة واحدة وجسم واحد، إذن لا معنى للتكبر والاستعلاء والتجاوز والظلم والتمييز القومي والقبلي والطائفي، أنتم أغصان لشجرة واحدة.

لاحظوا الالتفاتة القرآنية الجميلة التي تقول: [يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ] ليس لمجرد الخوف من يوم القيامة بل لأنكم عبيدٌ لرب واحد، وأنتم من شجرة واحدة، ثمّ يقول تعالى: [وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها] الزوج ليس بمعنى الزوجة بل هو الفرد الثاني حيث يقال للرجل والمرأة زوج.

خلق المرأة:

هناك روايات إسرائيلية موجودة في بعض الكتب السابقة تقول أن الله تعالى خلق آدم أوّلاً ثمّ خلق حواء من ضلعه، لكن الروايات

الإسلاميّة الصحيحة تنفي هذه الفكرة، والقرآن يقول: [خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها] والرواية تقول بأنهما خُلقا من طينة واحدة. إن الروايات الإسرائيلية تستخف بالمرأة.

إن المرأة من نفس الرجل والرجل من نفس المرأة.

أيها المؤمنون، يا أبناء آدم: أنتم من شجرة واحدة، ونفس واحدة، لا يتكبر بعضكم على بعض، ولا يتجاوز بعضكم على بعض.

عن الإمام الباقر C قال: «أحبب أخاك المسلم، وأحبب له ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك...»[1] لأنه من نفسك، وعلى هذه الأسس الفلسفية يبنى المجتمع الإسلامي، إذن الناس سواسية كأسنان المشط.

* * *

(١) أمالي الصدوق: ٤٠١/ ح ٥١٩/ ١٣.

التأمل الأربعون:

علاقة الصوم بالتقوى

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ].(١)

هذه الآية فيها مدلولان:

المدلول الأوّل: أن الصوم مكتوب على الأمم السابقة وأتباع الأديان السابقة كما هو مكتوب على أمّة الإسلام، ومعنى ذلك أن هناك مشتركات دينية، فالصلاة من المشتركات بين الأديان ولكن مع اختلاف في التفاصيل، وكذا الحج فهو فريضة إلهية قبل ظهور الإسلام وكان أتباع الأديان السابقة يؤدون الحج، وكان إبراهيم C هو أوّل من أذّن بالحج، وكذا الزكاة التي تعني تطهير المال وتقديم الحقوق للضعفاء.

المدلول الثاني: هو أن الصوم طريق للتقوى، والتقوى هي احدى نتائج الصوم، وذلك هو قوله تعالى: [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]، فالآية المتقدمة ترشدنا إلى أن طريق الحصول على التقوى هو الصوم.

بهذا الصدد نقرأ بعض الروايات التي تؤكد ذلك لأنه من الغيب غير المشهود لنا في عالم الدنيا، فالقرب الإلهي والتقوى الإلهية كلاهما مفاهيم من عالم الغيب، وكذا الابتعاد عن نار جهنم، فنحن لا نرى الجنة والنار، ولكن القرآن والروايات تشرح لنا كيفية الاقتراب

(١) البقرة: ١٨٣.

من الجنّة والابتعاد عن النار، وتذكر لنا الصوم باعتباره مقرِّباً إلى الجنّة ومبعداً عن النار، وهو خبر يقين لأن الله وأولياءه يروونه لنا.

أمور تدفع الشيطان:

ففي رواية يرويها كبار علماء الشيعة كالشيخ الكليني والصدوق عن الصادق C عن آبائه عن النبي 9 : «ألا أُخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما يتباعد المشرق من المغرب؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

فقال 9 : «الصوم يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام».(١)

هذه أربع ضربات قاضية يسددها المؤمن للشيطان عندما يأتي بهذه الأعمال، وبها يبتعد عن النار ويقترب من الجنّة.

فالصدقة التي يستهين بها البعض لها آثار عجيبة فإنها توضع في يد الله قبل يد السائل كما ورد في الروايات،(٢) ولذا ورد الاستحباب في مسح الوجه باليد التي امتدت لتقديم الصدقة لأنها مسَّت يد الله،(٣) وهذا معنى عجيب أدعو إخواني للتأمل فيه.

(١) الكافي ٤: ٦٢/ ح ٢؛ أمالي الصدوق: ١١٧/ ح ١٠٢/ ١.

(٢) قال رسول الله 9 : ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتّى تقع في يد الله تعالى، ثمّ تلا هذه الآية: [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ...]، بحار الأنوار ٩٣: ١٣٤.

(٣) كان الإمام زين العابدين C يقبل يده عند الصدقة، وسئل عن ذلك، فقال: إنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل. أنظر: عدة الداعي: ٥٩.

أما الحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح فإنه يقطع دابره ولا يبقي خط رجعة للشيطان، فعندما نرى مشروعاً للعمل الصالح علينا المسارعة لأجل المشاركة فيه وعدم التردد عن ذلك، ومن مشاريع الأعمال الصالحة هو المشاركة في صلاة الجمعة والجماعة والأنشطة السياسية والأمنية والمشاريع الخيرية والمؤسسات الدينية فإنها كلها أعمال صالحة يجب المشاركة فيها.

أما الضربة الرابعة والقاضية على الشيطان فهي الاستغفار لأن رسول الله 9 يقول: «والاستغفار يقطع وتينه» وقد تأملت في هذه الرواية التي تذكر هذه الضربات الأربعة ووجدتها في ثلاثة من الكتب الأربعة المعتمدة لدى علماء المذهب وهي: (الكافي والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه والاستبصار)[١] ولو تصورنا أن إبليس أمكن رؤيته في الدنيا وتجسّد لنا كما تجسّد لإبراهيم C عندما أراد الحج عند الجمرات الثلاث التي تُرمى في أيام الحج وهي من شعائر الحج لبادر كل واحد منّا إلى قتله ليخلص من دسائسه ومكائده ويخلص من الشقاء.

إن رسول الله 9 يذكر لنا أربعة أمور تقضي على الشيطان ومكائده منها: الصوم، ويقول إنه يسوّد وجهه ويعمي بصره، وهذا من الغيب الذي يخبرنا به رسول الله 9 .

فضل الصوم:

والرواية الثانية عن الصادق C عن آبائه G عنه 9 أنه قال: «إن الله U وكّل ملائكته بالدعاء للصائمين، وقال: أخبرني

(١) الكافي ٤: ٦٣/ ح ٢؛ التهذيب ٤: ١٩١/ ح ٦/٥٤٢؛ من لا يحضره الفقيه ٢: ٧٥/ ح ١٧٧٤؛...

جبرائيل C عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ما أمرت ملائكتي بالدعاء لأحدٍ من خلقي إلا استجبت لهم فيه»[١] فإن الله تعالى يستجيب لدعاء الملائكة بكل ما يدعون للمؤمن الصائم من الرزق والبركة والتوفيق وقضاء الحاجات.

الرواية الثالثة: عن الإمام الرضا C : «إن لله تبارك وتعالى ملائكة موكلين بالصائمين والصائمات يمسحونهم بأجنحتهم ويسقطون عنهم ذنوبهم، وإن لله تبارك وتعالى ملائكة وكّلهم بالدعاء للصائمين والصائمات لا يعلم عددهم إلاّ الله U».[٢]

ومن خلال هذه الأحاديث يتضح لنا حقيقة الدعاء الذي يقول: «إلهي ربح الصائمون وفاز القائمون...» فأي ربح أعظم من أن تمسح الملائكة بأجنحتها عليهم وتسقط ذنوبهم وتدعو لهم!؟

وبعد كل ذلك يقول الحديث عن رسول الله 9 : «الصوم جُنَّةٌ من النار»[٣] يعني إنه يجعل درعاً وسترا بينك وبين النار، ونحن نهنئكم على التوفيق للصوم في شهر رمضان.

اللهم اجعلنا من الصائمين والذاكرين والمتقين.

* * *

(١) الكافي ٤: ٦٤/ ح ١١.

(٢) فضائل الأشهر الثلاثة: ١٠٤/ ح ٩٢؛ وسائل الشيعة ١٠: ٤٠٥/ ح ٣٦/١٣٧٠٨.

(٣) الكافي ٤: ٦٢/ باب ما جاء في فضل الصوم/ ح ١.

التأمل الحادي والأربعون:

السائق والشهيد يوم القيامة

قال الله تعالى في كتابه الكريم: [وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ].(١)

مجموعة مفاهيم:

هذه الآيات من آخر سورة الزُمَر تتحدث عن مجموعة مفاهيم:

أحدها: عملية السَوق إلى الجنّة زُمَراً.

والثاني: أبواب الجنّة.

والثالث: خزنة الجنّة.

والرابع: سلام الملائكة على المؤمنين الداخلين إلى الجنّة.

وهنا نقرأ رواية بهذا الخصوص تتحدث عن مشهد المؤمنين في الجنة، وتقول أن كل نفس معها سائق وشهيد، فالسائق يسوقها إلى الجنّة، والشهيد يشهد على دخولها الجنّة، وتقول الرواية أن السائق هو أمير المؤمنين C والشهيد هو رسول الله 9 .

(١) الزمر: ٧٣.

محمّد 9 وعليّ C في الجنّة:

عن الإمام الصادق C قال: كان رسول الله 9 يقول: «إذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة.. هي درجتي في الجنّة،... يؤتى بها يوم القيامة حتّى تنصب مع درجة النبيين فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلاّ قال: طوبى لمن كانت هذه درجته.. فأقبل يومئذٍ متزراً بريطة من نور عليّ تاج الملك وأكليل الكرامة وعليّ بن أبي طالب أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد، مكتوب عليه: لا إله إلا الله محمّد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله،... فإذا صرت في أعلى الدرجة منها وعليّ أسفل مني بيده لوائي، فلا يبقى يومئذٍ نبي ولا مؤمن إلاّ رفعوا رؤوسهم إليّ يقولون: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله! فينادي المنادي يسمع النبيون وجميع الخلق: هذا حبيبي محمّد، وهذا وليي عليّ بن أبي طالب طوبى لمن أحبه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه».

ثمّ قال رسول الله 9 : «يا عليّ فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلاّ استراح إلى هذا الكلام وأبيض وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلاّ اسود وجهه واضطربت قدماه، فبينا أنا كذلك إذ ملكان قد أقبلا إليّ، أما أحدهما فرضوان خازن الجنّة، وأما الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان ويسلم عليّ ويقول: أنا رضوان خازن الجنّة أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح الجنة فخذها يا محمّد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به عليّ، ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، فيدفعها إلى عليّ ويرجع رضوان.

ثمّ يدنو مالك خازن النار فيسلم ويقول: ... أنا مالك خازن النار أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح النار.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به عليّ وفضلني به، أدفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب، فيدفعها إليه.. فيقبل عليّ ومعه مفاتيح الجنّة ومقاليد النار حتّى يقعد على عجزة جهنم... فيقول علي لها: ذري هذا وليي، وخذي هذا عدوي، فَلجَهنم يومئذٍ أشدُّ مطاوعةً لعليّ من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهب بها يمنةً، وإن شاء يذهب بها يسرةً.. وذلك أن عليّاً C يومئذٍ قسيم الجنّة والنار».(١)

البكاء والتباكي:

هذه الآية في سورة الزمر تربطنا بحديث رسول الله 9 يوم خطبَ جمعاً من الأنصار فقال: إنّي أريد أن أقرأ عليكم من كتاب الله، فمن بكى وجبت له الجنّة، فقرأ آخر سورة الزمر: [وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ].(٢)

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣٢٣؛ بحار الأنوار ٧: ٣٢٦.

(٢) الزمر: ٧١ و٧٢.

فبكى القوم جميعاً إلاّ شاب، فقال: يا رسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني. قال: إني معيد عليكم، فمن تباكى فله الجنّة. قال: فأعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى، فدخلوا الجنة جميعاً.(١)

نسأل الله أن يرزقنا البكاء من خشيته، والشوق إلى لقائه إنه أرحم الراحمين.

* * *

---

(١) أمالي الصدوق: ٦٣٨؛ بحار الأنوار ٩٠: ٣٢٨.

التأمل الثاني والأربعون:

أحداث تدعو للتقوى

قال الله تعالى: [يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ].(١)

في هذه الآية ثلاثة نقاط من البحث:

استعراض حقيقي:

النقطة الأولى: هل هذا الاستعراض حقيقي أم تقديري؟

يعني حينما يقول: [يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ] هل يعني أن هناك مرضعات يرضعن وهناك نساء حوامل فإذا قامت الساعة ذهلت كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها على سبيل القضية الحقيقة وليس على سبيل الفرض والتقدير؟

إن بعض الآيات تتحدث عن فرضيات مثل قوله تعالى: [لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ](٢) فهذه قضية تقديرية فرضية، لكن هنا حينما يقول: [يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ

(١) الحج: ١ و٢.
(٢) الحشر: ٢١.

عَمَّا أَرْضَعَتْ] فهل الأمر هو فرض وتقدير بمعنى لو كانت هناك امرأة حامل لوضعت حملها ولو كانت مرضعة لذهلت عمّا أرضعت؟

لم أقف بحسب تتبعي على إشارة لدى المفسرين تشير إلى ذلك هل هو حقيقي أم تقديري؟ لكن بالإمكان اعتباره حقيقياً بمعنى أنه عند قيام الساعة تضع الحوامل في الدنيا حملهنّ وتذهل المرضعات عمّا أرضعن نتيجة الخوف والرعب فالآية لا تتحدث عن عالم القيامة، وإنما تتحدث عن عالم الدنيا عند قيام الساعة.

نهاية الكون:

النقطة الثانية: نهاية الكون.

هناك نظرية يذكرها علماء الطبيعة تقول: إن نهاية الكون تتم عبر البرود الكوني وفقد الطاقة الحرارية، الكون يفقد الحرارة تدريجياً، والشمس تخمد نارها فتموت الحياة، لكن القرآن يقول إن نهاية الكون تتم عبر انفجار عظيم وليس عبر برود عظيم، هذا الانفجار يصحبه تناثر الكواكب وتسجير البحار كما جاء ذلك في قوله تعالى: [إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ...].

الساعة الأولى والثانية:

النقطة الثالثة: حينما تتحدث الآيات عن الساعة [إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ] هل المقصود بها الساعة الأولى التي تموت فيها الحياة أم الساعة الثانية التي يحيى فيها الناس بعد الموت؟

وأنتم تعلمون أن هناك موقفين: الأوّل يموت فيه من في

السموات والأرض، والموقف الثاني هو بداية الحياة الجديدة، قال تعالى: [فَإِذا هُمْ مِنَ الأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ][١] والفاصل بين الموقف الأوّل والثاني يمكن أن يكون ملايين السنين، وبعض الروايات تقول: «ما شاء الله» إشارة إلى مجهولية الوقت وربما طوله. هذا البحث لم يُسلَّط عليه الضوء من قِبَل علمائنا المفسرين. ولكن أكتفي بهذه الإشارة فقط في سياق الدعوة للتقوى، وأكتفي بقراءة رواية تضع المؤمنين في أجواء القيامة منذ نهاية الدنيا إلى قيام الساعة.

النفختان:

الرواية عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين C حيث سُئل عن النفختين في قوله تعالى: [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ][٢] هذه الصيحة الكونية الكبرى الأولى التي تتهدم بها السماوات والأرض، وهي صوت عظيم لا يطيقه أحد من الخلائق، فيصعقون جميعاً ويموتون إلاّ إسرافيل، ويصعق من في السماوات والأرض إلاّ من شاء الله، بمجرد أن يسمعوا الصوت تتهدم الحياة عند كل الكائنات الحية، أما النفخة الثانية فهي قوله تعالى: [ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ][٣] يقول الإمام عليّ بن الحسين C حين سُئل عن النفختين كم بينهما؟

قال C: «ما شاء الله».

قال الراوي: فأخبرني يا ابن رسول الله كيف يُنفخ في الصور؟

(١) يس: ٥١.
(٢) الزمر: ٦٨.
(٣) السابق.

قال C: «أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه الصور ـ وهو يعني البوق وهو تصوير لأداة الصيحة ـ وللصور رأس واحد وله طرفان طرف إلى السماء وطرف إلى الأرض، وبين طرف كل رأس ما بين السماء والأرض، فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الأرض ومعه الصور قالوا: قد أذِن الله في موت أهل الأرض وموت أهل السماء.

قال: فيهبط إسرافيل بحضيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى ذو روح إلاّ صعق ومات إلاّ إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مت فيموت، ثمّ يأمر الله السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير،... قال: فعند ذلك ينادي الجبار Y بصوت جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين: لِمَن الملك اليوم؟ فلا يجيبه مجيب فعند ذلك ينادي الجبار Y: لله الواحد القهار،... إني أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي، وأنا أمتهم بمشيتي، وأنا أحييهم بقدرتي.

قال: فنفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى أحد في السماوات إلاّ حيي وقام كما كان، ويعود حملة العرش، ويحضر الجنّة والنار ويحشر الخلائق للحساب».

قال الراوي: فرأيت عليّ بن الحسين C يبكي عند ذلك بكاءاً شديداً.[١]

(١) تفسير القمي ٢: ٢٥٢؛ بحار الأنوار ٦: ٣٢٤.

نعم الإنسان الصغير الحقير الذي يعيش أياماً محدودةً، تنتظره مثل تلك الأهوال العظيمة التي فيها [تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً * وَتَسيرُ الْجِبالُ سَيْراً][1] [وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَني كُنْتُ تُراباً]،[2] [وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً * يا وَيْلَتى لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَليلاً * لَقَدْ أَضَلَّني عَنِ الذِّكْرِ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً * يا وَيْلَتى لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَليلاً * لَقَدْ أَضَلَّني عَنِ الذِّكْرِ...].[3]

أوصيكم ونفسي عباد الله بتقوى الله ولزوم أمره ونسأله أن يرحمنا في تلك الساعة بعد الموت، وقبل الموت [فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ].[4]

* * *

(١) الطور: ٩ و١٠.

(٢) النبأ: ٤٠.

(٣) الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

(٤) يس: ٥١.

التأمل الثالث والأربعون:

إمتيازات أجر الآخرة

قال الله تعالى في كتابه الكريم: [وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ].(١)

هذه الآية كما في آيات أخرى تعقد مقارنة بين أجر الدنيا لأهل الدنيا وبين أجر الآخرة للمتقين، حيث يتحصل من مجموع تلك الآيات القرآنية أن هناك عشرة إمتيازات لأجر الآخرة:

الإمتياز الأوّل: أن أجر الآخرة أعظم من أجر الدنيا، قال تعالى: [وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً].(٢)

الإمتياز الثاني: أنَّ أجر الآخرة عظيم، قال تعالى: [وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً].(٣)

الإمتياز الثالث: هو أجر كبير، قال تعالى: [وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً].(٤)

الإمتياز الرابع: هو أجر دائم مستمر لا انقطاع له، قال تعالى: [خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ].(٥)

---

(١) يوسف: ٥٧.

(٢) المزمل: ٢٠.

(٣) النساء: ١٤٦.

(٤) الإسراء: ٩.

(٥) هود: ١٠٨.

الإمتياز الخامس: هو أجر بدون من، قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ].(١)

الإمتياز السادس: هو أجرٌ بغير حساب، قال تعالى: [إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ].(٢)

الإمتياز السابع: هو أجر حتمي غير قابل للضياع والإهمال. قال تعالى: [إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً].(٣)

الإمتياز الثامن: هو أجر غير منغَّص بخلاف أجر الدنيا المشوب بالمنغّصات والآلام، قال تعالى: [لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً].(٤)

الإمتياز التاسع: انه أجر كريم، قال تعالى: [وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً].(٥)

الإمتياز العاشر: أنه أجرٌ مطلق غير محدود، قال تعالى: [وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ](٦) [لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ](٧) كل ما يشتهي ويدعو الإنسان يكون له ذلك.

وفي هذا الصدد أنقل لكم روايتين عن أمير المؤمنين C يرويهما السيد عبد الله شبر في كتابه (تسلية الفؤاد فيما يتعلق بالموت والمعاد) وهو من الكتب الجيدة والجميلة وأدعوكم لمطالعته ونشره.

---

(١) فصلت: ٨.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) الكهف: ٣٠.

(٤) الواقعة: ٢٥.

(٥) الأحزاب: ٤٤.

(٦) الزخرف: ٧١.

(٧) يس: ٥٧.

شجرة طوبى:

الرواية الأولى: عن أمير المؤمنين C يقول فيها: «طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار النبي محمّد 9 وليس من مؤمن إلاّ وفي داره غصن منها لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلاّ أتاه به ذلك، ولو أن راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً ألا ففي هذا فارغبوا».(١)

قيام الليل:

الرواية الثانية: عن أمير المؤمنين C : «ان في الجنّة لشجرة يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيلٌ بلق مسرجة ملجمة، ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول، فيركبها أولياء الله، فتطير بهم في الجنّة حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم: يا ربنا ما بلغ بعبادك هذه الكرامة؟ فيقول الله Y : إنّهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون، ويصومون النهار ولا يأكلون، ويجاهدون العدو ولا يجبنون، ويتصدقون ولا يبخلون».(٢)

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل صلاة الليل وأهل الصوم والصدقة ومن أهل الصبر والجهاد ضد أعداء الله، اللهم اجعلنا من المتقين.

* * *

---

(١) الكافي ٢: ٢٣٩/ ح ٣٠.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٦٦/ ح ٤٥٧.

التأمل الرابع والأربعون:

نـتـائـج الـتـقـوى والـصبر

قال تعالى: [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ].

المقارنة القرآنية:

نلاحظ أن القرآن الكريم يقرن بين التقوى والصبر في عدة مواضع من الآيات:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: [إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ].[1]

وكذلك قوله في سورة آل عمران يقول: [وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً].

وفي آية أخرى: [إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ].[2]

وفي آية رابعة: [اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ].[3]

(١) يوسف: ٩٠.
(٢) آل عمران: ١٢٥.
(٣) آل عمران: ٢٠٠.

نتائج الصبر مع التقوى:

هذا النسيج والخليط من التقوى والصبر له أربع نتائج:

النتيجة الأولى: الفلاح، فالتقوى معها الصبر نتيجتها الفلاح والنجاح لقوله تعالى: [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ].

النتيجة الثانية: المددَ الإلهي بالملائكة لقوله تعالى: [يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ].

النتيجة الثالثة: دفع الضرر، يعني مهما يمكر الماكرون ضد الأمّة الصابرة المتقية لا يضرها هذا الكيد شيئاً وتصبح لديها حالة مناعة، وكلمة (شيئاً) في الآية تفيد الاطلاق الاستغراقي، أي لا يضركم أي شيء من كيد الأعداء ولا مقدار ذرة لقوله تعالى: [لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً].

النتيجة الرابعة: عدم ضياع الأجر في الدنيا والآخرة، لأنه وعد من الله تعالى لقوله تعالى: [فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ].

الصبر السياسي:

هناك صبر على البلاء الشخصي، ويمكن أن نسميه (الصبر الشخصي)، كالصبر على الفقر والمرض وما شاكل ذلك.

وهناك صبر يسمى (الصبر السياسي) والقرآن الكريم مرةً يتحدّث عن الصبر بعمومه، كالفقر والبلاء والمرض، وهناك آيات تتحدث عن الصبر السياسي في مواجهة كيد الأعداء.

قال تعالى: [إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ].[1]

(١) الأنفال: ٦٥.

وقال تعالى: [كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ]. (١)

والمجتمع يحتاج إلى صبر سياسي كما يحتاج إلى الصبر الشخصي لمواجهة المشاكل والمعاناة.

قال تعالى: [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ] (٢) فهذه كلها تحدّيات سياسية يتحدث عنها القرآن.

قصة قرينة داود C :

في الرواية الواردة عن الإمام الصادق C يقول: إن الله U أوحى إلى داود صلوات الله عليه: أن قرينتك في الجنّة خلادة بنت أوس، فأتِها وأخبِرها وبشّرها بالجنّة، وأعلِمها أنها قرينتُك في الآخرة، فانطلق إليها داود فقرع الباب عليها، فخرجت إليه.

فقال: أنت خلادة بنت أوس؟

فقالت: نعم.

فقال: ان الله يبشرك بانكِ قرينتي في الجنّة.

قالت: يا نبي الله لست بصاحبتك التي تَطلُب.

قال لها داود: ألستِ خلادة بنت أوس من سبط كذا وكذا؟

قالت: بلى.

قال: فأنت هي إذن.

فقالت: يا نبي الله لعل اسماً وافق اسماً.

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) البقرة: ١٥٥.

فقال لها داود: ما كَذبت ولا كُذبت وإنكِ لأنت هي.

فقالت: يا نبي الله ما أكذبك، ولا والله ما أعرف من نفسي ما وصفتني به.

قال لها داود صلوات الله عليه: خبريني عن سريرتك ما هي؟

قالت: أما هذا فسأخبرك به، إنه لم يصبني وجع قد نزل بي من الله تبارك وتعالى كائنا ما كان، ولا نزل بي مرض أو جوع إلاّ صبرت عليه، ولم أسأل الله كشفه حتّى هو يكون الذي يحوله عني إلى العافية والسعة لم أطلب بها بدلاً وشكرت الله عليها وحمدته.

قال لها داود صلوات الله عليه: فبهذا النعت بلغت ما بلغت.

ثمّ قال أبو عبد الله C : هذا والله دين الله الذي ارتضاه للصالحين. (١)

* * *

(١) مشكاة الأنوار: ٦٠؛ بحار الأنوار ٦٨: ٨٩/ ح ٤٢.

التأمل الخامس والأربعون:

استحقاقات الاخوة الإيمانية

قال الله تعالى في كتابه الكريم: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ].(١)

هذه الآية تتحدث عن الأخوّة وعن الاصلاح وعن التقوى، وهي الآية العاشرة من سورة الحجرات، وسميت بهذا الاسم لما جاء فيها من قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ](٢) حيث كان مجموعة من الجاهلين ينادون رسول الله 9 من وراء الدار وبعيداً عن الأدب الاجتماعي، والسُور كثيراً ما تسمى بما جاء فيها، مثلاً سورة الكوثر سميت بهذا الاسم لقوله تعالى: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] وهكذا سورة العصر والنصر والشمس وغيرها من السور.

سورة الحجرات:

هذه السورة اختصّت بالتركيز على العلاقات والآداب الاجتماعية، و وضعت أساساً للعلاقات الاجتماعية والذي يمثل جوهر النظرية الإسلاميّة في العلاقات الاجتماعية.

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) الحجرات: ٤.

مبادئ العلاقات الاجتماعية:

حاصل النظرية الإسلاميّة أن العلاقات الاجتماعية تقوم على مبدأين:

المبدأ الأوّل: الاخوة الانسانية بدل المصالح النفعية.

الغرب أيضاً يؤمن بالعلاقات الاجتماعية، لكن جوهر فلسفة الفكر الغربي هو أن الهدف من العلاقات الاجتماعية هو كسب المصالح الشخصية وكيفية الحصول على أكبر ربح ممكن بعيداً عن القضية الإنسانية، أما في الإسلام فإن العلاقات الاجتماعية تقوم على مبدأ الأخوّة الإنسانية، ويمكن أن نقرأ ذلك في مثال بسيط جداً، إن التشريع الإسلامي يقول: حينما تبيع يُستحب أن تعطي الأكثر للمشتري، حيث أن هذا الاستحباب يؤكد البعد الإنساني والأخوي بعيداً عن الذاتيات والأنانيات.

المبدأ الثاني: هو مبدأ التكامل بالتقوى [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ].(١)

لنقف اليوم مع سورة الحجرات التي تركز مفهوم الاخوّة الإيمانية.

استحقاقات الأخوّة:

هذه الاخوّة لها استحقاقات:

أوّلاً: الاصلاح، حيث قال تعالى: [فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ].

ثانياً: احترام الآخر، قال تعالى: [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ].(٢)

ثالثاً: العدل والقسط في التعامل مع الآخرين، قال تعالى:

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) الحجرات: ١١.

[وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ][١] والعدالة هنا هي مطلق العدالة الاجتماعية مع الخباز وسائق السيارة والموظف وبقية طبقات المجتمع، فمقتضى الاخوّة الاجتماعية مع الآخرين تحتّم ذلك.

رابعاً: النظرة الايجابية للآخرين، قال تعالى: [وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ][٢] أي لا يعيب أحدكم الآخرين.

خامساً: آداب التخاطب، قال تعالى: [وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ][٣] والمقصود الألقاب النابية والشتائم.

سادساً: حسن الظن بالآخر، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ].[٤]

سابعاً: إعتبارالظاهر هو المقياس، فلا تبحث عن الباطن وخذ بالظاهر، قال تعالى: [وَلا تَجَسَّسُوا][٥] أي لا تبحثوا عن الأمور الخفيّة لدى الآخرين.

ثامناً: ستر العيب قال تعالى: [وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً].[٦]

تاسعاً: التعايش السلمي مع الآخرين وهو ما يسمى اليوم بالأمميّة الإسلاميّة، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا].[٧]

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) الحجرات: ١١.

(٣) السابق.

(٤) الحجرات: ١٢.

(٥) السابق.

(٦) السابق.

(٧) الحجرات: ١٣.

عاشراً: جعل مقياس التفاضل هو التقوى، قال تعالى: [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ][١] نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأداء حقوق الآخرين ويجعلنا من المتقين.

ان هذه الاستحقاقات العشرة للاخوة تجعل حق الناس أخطر من حق الله تعالى.

صحيح أن حق الله أعظم، لكن حق الناس أخطر[٢] لأن الرواية تقول: أن الذنب بينك وبين الناس لا يغفره الله حتّى يرضى ويغفره صاحب الذنب، أما الذنب بينك وبين الله فيمكن أن يغفره الله لمجرد الاستغفار والتوبة.[٣]

* * *

---

(١) السابق.

(٢) عن أمير المؤمنين C قال: «جعل الله حقوق عباده مقدمة على حقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله». عيون الحكم والمواعظ: ٢٢٣.

(٣) عن الإمام الباقر C قال: «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد». الكافي ٢: ٣٣١/ ح ١.

التأمل السادس والأربعون:

تقوى الله شرط الرحمة الإلهية الخاصة

قال الله تعالى: [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ].[1]

هذه الآية تدل على أن التقوى هي المِلاك والمَناط الذي شرطه الله تبارك وتعالى حينما كتب على نفسه الرحمة، فرغم أن الآية تدل على سعة الرحمة الإلهية لكل شيء، ولكن هناك تخصيص كما قال تعالى: [فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ]، إذن كيف نجمع بين التعميم والتخصيص؟ حيث يقول مرة: رحمتي وسعت كل شيء، ومرة أخرى يقول: فسأكتبها للذين يتقون؟

نظريتان:

هناك نظريتان يمكن أن تفسّر الجمع بين الأمرين:

النظرية الأولى: تقول: أنه توجد رحمتان: رحمة عامة [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]، ورحمة خاصة [فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ].

رحمة عامة تشمل كل الخلائق حتّى غير المؤمنين، ولكن في يوم القيامة تظهر رحمة خاصة للمتقين، ومعنى ذالك أن الجميع مشمولون بالرحمة، لكن هناك مستوى أعظم من الرحمة يختص به المؤمنون المتقون.

النظرية الثانية: هي نظرية سعة الرحمة على مستوى البذل والوجود، لكن المتقين هم الذين يستفيدون منها عملياً.

(١) الأعراف: ١٥٦.

فالرحمة عامة مثل نزول المطر، لكن هناك أرض خصبة قد أُعدت للزراعة تستفيد من المطر، وهناك أرض سبخة غير صالحة للزراعة لا تستفيد من المطر.

الله تبارك وتعالى فتح رحمته لجميع العباد، لكن هناك من يستفيد من هذه الرحمة وهناك من لا يستفيد منها، المتقون هم أولئك الذي يستفيدون من الرحمة، مثل القرآن الكريم حيث يقول الله تبارك وتعالى عنه مرة: [هُدىً لِلنَّاسِ] بنحو عام، ومرة يجعله [هُدىً لِلْمُتَّقِينَ] بنحو خاص، فمرة يقول: [ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ][1] ومرة يقول: [هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ][2] فالهدى للجميع.

الحقيقة أن القرآن هدىً للجميع، لكن بعض الناس لا يستفيد من هذا الهدى، أما المتقون فهم الذين يستفيدون منه.

نحن في الحقيقة نعيش رحمة إلهية على جميع الخلق، لكن المتقين هم الذين وهبهم الله عقلاً وتوفيقاً بحيث يستفيدون من هذه الرحمة.

هناك صنف ثالث: وهم اليائسون من رحمة الله، وهم الذين كفروا، يقول القرآن الكريم: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي][3] أمّا باقي الناس من غير الكافرين حتّى الفاسقين أولئك لا ييأسون من رحمة الله.

(١) البقرة: ٢.

(٢) البقرة: ٨٥.

(٣) العنكبوت: ٢٣.

رحمة الله:

قدم على رسول الله 9 بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى، إذا وجدت صبياً أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال رسول الله 9 لأصحابه أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قالوا: لا والله وهي تقدر أن لا تطرحه، فقال رسول الله: الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها.(١)

رحمة الآخرة:

قال أمير المؤمنين C: «الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمّة محمّد...».(٢)

* * *

(١) الطرائف: ٣٢٢.
(٢) بحار الأنوار ٨: ٤٤/ ح ٤٤.

التأمل السابع والأربعون:

مستويات التقوى

قال تعالى: [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ * كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ].(١)

يظهر من القرآن الكريم أن التقوى لها حدٌّ أدنى وحدود عليا، الحد الأدنى وهو أقل مستويات التقوى هو الورع عن محارم الله، مرتبة الورع يعني أن لا ترتكب محرماً.

ولكن القرآن يشرح لنا حدوداً عليا ومستويات أعلى للتقوى، ونحن يجب أن نتدرج من المستوى الأدنى حتّى نصل إلى المستوى الأعلى.

مرتبة الإحسان:

مرتبة الإحسان هي مرتبة أعلى من مرتبة الورع عن محارم الله، فإن الإحسان من مراتب التقوى العالية، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله 9 : «أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٢) أي أن تعبد كأنك ترى الله تعالى.

إن قلة النوم في الليل وكثرة السهر في العبادة هي من مراتب التقوى العالية وهي خصوصية الأولياء، ويجب أن نقف نادمين ومتحسّرين لعدم اتصافنا بها خاصة نحن طلاب العلوم الدينية وعلماء الدين.

---

(١) الذاريات: ١٥ - ١٧.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٢٦/ ح ١/١١٦٢.

صلاة الليل:

الحديث في الآية عن صلاة الليل، وفيها حثّ للمتقين على العبادة والتضرع بين يدي الله.

قال تعالى: [وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً].(١)

وقال أيضاً: [وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ].(٢)

وقال تعالى: [وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً].(٣)

فقيام الليل بالعبادة والاستغفار بالسحر من صفات المتقين.

والقرآن يخاطب الرسول 9 ويقول: [قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً].(٤)

مسؤوليات كبرى:

أيها المؤمنون، يا شيعة أهل البيت G ، أمامكم مسؤوليات عظمى ومهمة تاريخية كبرى وهي قيادة العالم إن شاء الله، وهي من مصاديق القول الثقيل، ولا بدّ من الاستعداد لذلك من خلال قيام الليل والتهجد بالعبادة والاستعانة بالله على هذه المهمات الكبرى في النهار.

قال رسول الله 9 : «إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنعاس في عينيه ليرضي ربه U بصلاة ليله باهى الله به ملائكته فيقول: أما

---

(١) الفرقان: ٦٤.

(٢) الذاريات: ١٨.

(٣) الإسراء: ٧٩.

(٤) المزمل: ٢ - ٥.

تـرون عبـدي هـذا قـد قـام مـن مـضجعه وتـرك لذيـذ منامـه إلـى صـلاة لـم ألإرضها عليه، إشهدوا أني قد غفرت له».[(١)]

وصف المتقين:

وأمير المؤمنين C يقول في وصف المتقين:

«فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهـم فيهـا معـذبون، قلـوبهم محزونـة، وشـرورهم مأمونـة، وأجـسادهم نحيفـة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قليلة أعقبتهم راحة طويلة...، أما الليـل فصافّون أقدامهم، تـالين لأجـزاء القـرآن يرتلونـه تـرتيلا يحزّنـون بـه أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم، فاذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسـهم إليهـا شـوقاً، وظنـوا أنهـا نـصب أعيـنهم، وإذا مـروا بآيـة فيهـا تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهـم فهـم حـانون علـى أوسـاطهم، مفترشـون لجبـاههم وأكفهـم وركـبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله في فكاك رقابهم».[(٢)]

اللهـم فـكّ رقابنـا مـن النـار، اللهـم خلّـصنا مـن النـار، اللهـم حـرّم أجـسادنا علـى النـار، اللهـم حـرّم وجوهنـا علـى النـار، وحـرّم شـبابنا علـى النـار، اللهـم حـرّم أهلنـا وذريتنـا علـى النـار، اللهـم حـرّم جميـع المـؤمنين على النار، وارزقنا الجنّة بغير حساب، واستغفر الله لي ولكم.

* * *

---

(١) عدة الداعي: ٤٣.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٦٠/ خ ١٩٣.

التأمل الثامن والأربعون:

العفو والتقوى

قال تعالى في كتابه الكريم: [وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى].(١)

هذا الأمر يتكرر في موضعين من القرآن الكريم، في الموضع الأوّل يقول: [وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى] وفي الثاني يقول: [اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى](٢) هناك عدل وهناك عفو، والمفسرون يقولون في تفسير الآية الأولى: أن الإنسان حينما يُمسك يده عن حقوقه ويعفو ويتنازل يكون أقدر على امساك يده ونفسه عن التعدّي على حقوق الآخرين، ويكون أبعد عن الحرام وأقرب للتقوى.

مرتبة العفو:

ومرتبة العفو والإحسان هي أعلى من مرتبة العدل التي تشير إليها الآية الثانية، فمن حق الإنسان أن يأخذ حقه عند التجاوز عليه، وقد نص القرآن على ذلك حين قال: [وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا](٣) ولكن الذي يتنازل ويعفو ويصفح يكون أقرب للتقوى من الذي يعدل ويأخذ حقه ولا يتنازل عنه.

قال تعالى: [فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ](٤) وثواب العفو هو وقوع الأجر على الله.

---

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) المائدة: ٨.

(٣) الشورى: ٤٠.

(٤) السابق.

من يحاسب؟

وبهذا الصدد نذكر القصة التالية: جاء أعرابي إلى النبي 9 وسأله قائلاً: يا رسول الله من يحاسب الناس يوم القيامة؟

قال 9 : «الله تعالى يتولى حساب الناس يوم القيامة»، فقال الأعرابي: نجونا ورب الكعبة.

فقال رسول الله 9 : «وكيف ذلك يا أعرابي؟».

فقال: لأن الكريم إذا قدر عفا.(١) أي بما أن حسابنا على الله تعالى فقد نجونا وفزنا.

إن القرآن الكريم وأدب الإسلام لا يؤكد دائماً على مفهوم أخذ الحق واستيفائه بشكل كامل، بل يؤكد على مفهوم العفو والصفح والاصلاح.

قال تعالى: [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ](٢) إنها مرتبة فوق الحق وطلب الحق، إن مرتبة أخذ الحق أو إعطاء الحق للغير لا فضل فيها وهي مطلوبة وواجبة على الإنسان أن يؤدي حقوق الآخرين، إنما الفضل في العفو والصفح، أو مضاعفة الأجر للعامل، أو التجاوز عن المسيء عند إساءته.

ثواب العفو:

قال رسول الله 9 : «إذا أُوقف العباد نادى مناد: ليقم من أجره

---

(١) ميزان الحكمة ٣: ٢٠١٩/ ح ٢٧٦٩.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

على الله وليدخل الجنّة»، قيل: من الذي أجره على الله؟ فقال 9 : «العافون عن الناس».[١]

أيها الإخوة والأخوات: الحديث عن التقوى ليس حديثاً مثالياً، بل يجب أن ينعكس على ممارستنا السلوكية في البيت والشارع والدائرة والسوق، فلا بدّ من إصلاح وضعنا في البيت، وأن نتعامل بمفهوم العفو والصفح مع الآخرين حتّى ننال العفو الإلهي يوم القيامة وفي الدنيا أيضاً، ويتجاوز الله عن سيئاتنا فإن له الدنيا والآخرة.

ولهذا القرآن يقول: [وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ][٢] وهو تقارن عجيب بين العفو والصفح الذي يصدر من الإنسان تجاه الآخرين وبين المغفرة والعفو من الله تعالى.

عفو الله:

نقرأ في الدعاء الوارد عن أهل البيت G : «يا من أمر بالعفو والتجاوز، وضمن نفسه العفو والتجاوز، يا من عفا وتجاوز، اعف عني وتجاوز»[٣] هناك ثلاثة صفات في هذا الدعاء:

الأوّل: الأمر من الله بالعفو والتجاوز عن المسيئين.

وثانياً: الله أوجب على نفسه العفو والتجاوز عن المذنبين والمسيئين.

ثالثاً: إن الله قد عفا وتجاوز بالفعل.

اللهم اعف عنّا وتجاوز عن سيئاتنا.

---

(١) كنز العمال ٣: ٣٧٤/ ح ٧٠٠٩؛ ميزان الحكمة ٣: ٢٠١٢.

(٢) النور: ٢٢.

(٣) إقبال الأعمال ٣: ٢٧٦.

التأمل التاسع والأربعون:

عالم الغيب وعالم الشهادة

قال تعالى: [الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ].[1]

أوّل صفة للمتقين هي خشية الله بالغيب التي تنطلق من الإيمان بالغيب، ولهذا هناك ربط خاص بين المتقين وبين الإيمان بالغيب، وفي سورة الأنبياء: [وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ].[2]

عالمان:

هناك عالمان: عالم الغيب، وعالم الشهادة.

عالم الشهادة هو العالم المشهود أمامنا، الكرة الأرضية والكواكب والنجوم وكل ما نشاهده في الكون.

وهناك عالم الغيب وهو العالم المستور الغائب عن أبصارنا وأعيننا.

وعالم الشهادة هو قطرة من ذلك البحر، يعني كما أن قطرات الماء تنزل من السحاب، فكذا عالم الشهادة هو قطرات من عالم الغيب، قال تعالى: [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ][3] فعالم الشهادة خزائنه

(١) البقرة: ١ - ٣.

(٢) الأنبياء: ٤٨ و٤٩.

(٣) الحجر: ٢١.

ومصادره هي في عالم الغيب والله تعالى ينزله بقدر معلوم، كالاشعاعات الخارجة من الشمس التي هي عبارة عن أمواج متراكمة داخل الشمس، فعالم الشهادة كالأمواج الإشعاعية الخارجة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فالنبوة والكتاب عبارة عن أمواج إشعاعية من عالم الغيب [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ] من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، والروح من عالم الغيب أيضاً وليست من عالم الشهادة، ونحن نرى أثرها كالحركة والنظر والنطق الحاصلة من الجوارح بأمر الروح. إذن نحن نشهد آثاراً لذلك العالم، فالقرآن يقول إن أوّل صفة من صفات المتقين هي أنهم يخشون ربهم بالغيب، مع أنهم في عالم الشهادة والغيب مستور عنهم، ويؤمنون بالآخرة وهي من الغيب.

الخوف من الذنوب:

لكن السؤال المطروح هو هل أن الخوف والخشية التي يمتاز بها المتقون هي من الله أم من الذنوب؟

الجواب: إنما يخاف المتقون من ذنوبهم، فالمقصود من الخوف من الله هو الخوف من عذاب الله نتيجة الذنوب، ولذا قال أمير المؤمنين C: «ألا لا يرجونّ أحدكم إلاّ ربه ولا يخافنّ إلاّ ذنبه»[1] فالخوف من ذات الله لا معنى له، لأن الله لا يظلم أحداً حتّى نخافه، فالذي لا ذنب له لا يخاف الله تعالى، ولكن من هو الذي لا ذنب له، فحتّى الأنبياء يخافون من الذنب والتقصير مع الله تعالى.

(١) نهج البلاغة ٤: ١٨/ ح ٨٢.

مقياس القرب:

وعن أمير المؤمنين C قال: «إن الله إذا جمع الناس نادى فيهم منادٍ: أيها الناس إن أقربكم اليوم من الله أشدكم منه خوفاً»[١] فمقياس القرب من الله يوم القيامة هو الخوف من الله في الدنيا، فالأنبياء والأئمّة G كانوا أشد الناس خوفاً من الله، حتّى أن الإنسان يعجب حينما يقرأ الأدعية الواردة عنهم G ، فالإمام السجاد C يقول وهو متعلق بأستار الكعبة كما يروي عنه طاووس الفقيه:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين محبتي
أتيتُ بأعمال قباح رديّة فما في الورى خلقٌ جنى كجنايتي[٢]

أيها الناس إن أقربكم من الله يوم القيامة أشدكم منه خوفاً، ولذا يقول المؤمنون يوم القيامة حين يدخلون الجنّة: [إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ][٣] والشفقة هنا بمعنى الخوف، في مقابل الخوف والشفقة في الدنيا يأتي الأمان يوم القيامة.

* * *

(١) تحف العقول: ٢٠٤.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩١.
(٣) الطور: ٢٦ و٢٧.

التأمل الخمسون:

التقابل بين التقوى والطغيان

قال تعالى في كتابه الكريم: [وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ].(١)
وقال تعالى بعد ذلك: [وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ].(٢)

في آيات كثيرة يسوق الله تعالى البشائر للمتقين، منها ما جاء في سورة (ص)، حيث يجعل القرآن مقابلة بين المتّقين وبين الطّاغين، يعني في مقابل التقوى توجد حالة الطغيان، وليس الطغاة والمتسلّطون والظلمة هم الجبابرة فقط، فقد يكون الفقير المستضعف طاغية أيضاً حينما يعصي الله تعالى ويتجاوز على الآخرين. الطغيان قد يكون في غني أو فقير، في حاكم أو محكوم، [فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا](٣) ونحن جميعاً في معرض الطغيان [كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى](٤) نعوذ بالله من الطغيان، فأحياناً لقضايا بسيطة ودنيئة يصاب الإنسان بمرض الطغيان.

إن معصية الله طغيان لأنها تجاوز لحدود الإنسان، [وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ

(١) ص: ٤٩.
(٢) ص: ٥٥.
(٣) النازعات: ٣٧ و٣٨.
(٤) العلق: ٦ و٧.

الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ](١) وعلى هذا فإن الفساد الإداري والفساد الإقتصادي هو طغيان، الرشوة والربا طغيان، وكل معصية لله طغيان.

مجالات التقابل:

القرآن يجعل مقابلة بين المتّقين والطاغين في المصداق الخارجي وفي النتائج والآثار.
يقول القرآن: [وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ] وفي مقابله يقول: [وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ] والمآب هو المعاد ومحل الرجوع.

النتائج:

والآن نستعرض النتائج للطرفين تبعاً للاستعراض القرآني:
أوّلاً: القرآن يقول للمتقين: [جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ]،(٢) وللطاغين يقول: [جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ].(٣)
وثانياً: في الجنات يقول عن المتقين: [مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ](٤) [وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ](٥) وفي جهنم يقول عن الطاغين: [فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ](٦)

(١) الرحمن: ٧ و٨.
(٢) ص: ٥٠.
(٣) ص: ٥٦.
(٤) ص: ٥١.
(٥) يس: ٥٧.
(٦) ص: ٥٧.

ففي مقابل الفاكهة الكثيرة والشراب للمتقين يوجد الحميم يعني الماء الحار وغساق يعني القيء والصديد أو المياه الثقيلة.

وثالثاً: [وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ][1] وأتراب يعني متماثلات في العمر.

وأما قاصرات الطرف فإن فيها ثلاثة تفاسير:

التفسير الأوّل: عدم قدرة العين وقصورها عن رؤيتها لشدة جمالها.

التفسير الثاني: هنَّ يقصرن عن النظر إلى غير الزوج.

والتفسير الثالث وهو التفسير الأوفق للغة العربية: يعني أنهنّ ناعمات لا يستطِعْن رفع عيونهنّ من شدّة الدلال.

هذا هو جزاء المتقين، وفي مقابل ذلك يقول القرآن عن أهل جهنم: [وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ][2] أي لهم أزواج من العذاب مماثلة لهم كما تتماثل أزواج المؤمنين معهم في الجنّة، نعوذ بالله من النار، ونسأله تعالى أن يجعلنا من أهل الجنّة.

منزلة الشيعة:

وبهذا الصدد أقرأ لكم رواية فيها بشارة جميلة، وهي رد على قول أهل جهنم عندما يقولون:

[ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ].[3]

(١) ص: ٥٢.
(٢) ص: ٥٨.
(٣) ص: ٦٢.

يروي الشيخ الطوسي رواية في كتاب الأمالي:

دخل سماعة بن مهران على الإمام الصادق C فقال له الإمام: يا سماعة، مَن شر الناس؟

قال سماعة: يا بن رسول الله شرُّ الناس نحن!! فغضب الإمام وكان متكئاً فجلس واستوى.

وقال: يا سماعة من شرّ الناس؟

قال سماعة: والله ما كذبتك يا بن رسول الله، نحن شرّ الناس عند الناس كفاراً ورفضة.

فنظر إلى سماعة وقال C : «كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة، وسيق بهم إلى النار، فينظرون إليكم ويقولون: [ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ].

يا سماعة بن مهران: إن من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنُشفّع، والله لا يدخل منكم النار عشرة رجال، والله لا يدخل منكم النار خمسة رجال، والله لا يدخل منكم النار ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنافسوا في الدرجات واكمدوا عدوكم بالورع».[1]

* * *

(١) أمالي الطوسي: ٢٩٦/ ح ٢٨/٥٨١.

التأمل الحادي والخمسون:

أقسام الذنوب والتقوى منها جميعا

قال تعالى: [وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ](١) التقوى كما تعلمون من الوقاية والاتّقاء، وهي تعني لغةً: الامتناع والاجتناب عن ما هو خطر ومحذور، والسيّئات والذنوب هي خطر، ولهذا قال تعالى: [وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] هنا الإنسان الذي يمتنع عن السيّئات يكون مرحوماً وذلك هو الفوز العظيم.

أقسام الذنوب:

الذنوب ظاهرة وباطنة، صغيرة وكبيرة:

هناك تقسيمان للذنوب:

ظاهرة وباطنة:

التقسيم الأوّل يقول: إن الذنوب على قسمين: ذنوب ظاهرة، وذنوب باطنة.

الذنوب الظاهرة تعني ذنوب بدنية أو مادية مثل السرقة والكذب، والذنوب الباطنة هي أمراض القلب مثل الحسد والكبر والغل.

---

(١) غافر: ٩.

القرآن الكريم يقول: [وَذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَباطِنَهُ]،(١) امتنعوا عن الذنوب الظاهرة والباطنة، كما تعلمون أن كل ذنب من الذنوب حتّى الظاهر منها له آثار على القلب، مثلاً في السرقة لا يكفي أن تعيد المسروقات أو المال المسروق إلى صاحبه، فهذا الذنب الظاهر له أثر في القلب [بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ](٢) فلا بدّ من التوبة وتطهير القلب من أثر تلك السرقة.

أثر الذنب على القلب:

الرواية عن الإمام الصادق C تقول:

«إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب زالت وانمحت، وإن زاد زادت حتّى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً».(٣)

وهذا يعني أن الإنسان إذا أذنب ظهرت في قلبه بقعة سوداء، فإن تاب إلى الله انمحت تلك البقعة، وإن زاد ذنبه ازدادت حتّى يقضي على قلب الرجل، مثل مرض السرطان إذا استفحل في القلب فإنه يقضي عليه وحينئذ لا ينفع العلاج وإنما يجب قلع القلب واذا قُلع القلب فإنه يعني أن الإنسان قد مات، لذا يجب مراقبة الذنوب وآثارها على القلب فلا ندعها تتراكم علينا حتّى تقضي على قلوبنا.

---

(١) الأنعام: ١٢٠.
(٢) المطففين: ١٤.
(٣) الكافي ٢: ٢٧١/ ح ١٣.

كبائر وصغائر:

التقسيم الثاني يقول: إن الذنوب على قسمين: كبائر، وصغائر.

القرآن الكريم يقول في سورة النساء: [إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ].(١)

ويقول في سورة النجم: [الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ].(٢)

يعني أن الذين يجتنبون الذنوب الكبيرة فإن الله يغفر لهم الذنوب الصغيرة، وحينئذ قد يقول قائل: إننا إذا اجتنبنا الذنوب الكبيرة فسوف يحق لنا أن نعمل ما نشاء؟!

طبعاً هذا غير صحيح.

رغم أن الآية الكريمة تقول: [إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً].(٣)

فهل هذا يعني أن كل الذنوب التي تعملها هي مغفورة؟ كلا، فإن الآية تريد اعطاء الأمل وليس إغراء على ارتكاب الذنوب.

والآية الكريمة التي تقول: [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ](٤) فهل يستطيع الإنسان أن يقول أنا أعمل مجموعة من الحسنات وأرتكب سيئات لأن حسناتي سوف تمحي هذه السيئات؟ إذن تصبح السيئات حلالاً.

---

(١) النساء: ٣١.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) الزمر: ٥٣.

(٤) هود: ١١٤.

إن هذا القانون لا يعني الاغراء بالسيئات وإنما يعني اعطاء الأمل، إن الإنسان ينجح إذا كان لديه مجموعة أخطاء ولكنه يمشي على الصراط المستقيم، عنده أخطاء صغيرة لكن مساره صحيح، فإنه يصل إن شاء الله لأنه يمشي في الطريق الصحيح.

هكذا تجتمع الذنوب:

كان رسول الله 9 في قصة معروفة في يوم من الأيام يمشي في صحراء جرداء قاحلة قرعاء خالية، قال لأصحابه: «اجمعوا لي الحطب».

قالوا: يا رسول الله هذه صحراء خالية ليس فيها حطب.

قال: «اذهبوا واجمعوا ما استطعتم»، فذهبوا وجمعوا الأشواك من هنا وهناك، فلما اجتمعت عند رسول الله واذا هي ركام من الحطب.

فقال رسول الله 9 : هكذا تجتمع الذنوب.

ثمّ قال: «إيّاكم والمحقرات من الذنوب...».(١)

يريد رسول الله 9 أن يعطينا درساً في أن الذنوب تجتمع حتّى تغطي على القلب ويموت.

لذا أيها المؤمنون أيتها المؤمنات يجب أن نراقب أنفسنا وقلوبنا وأعمالنا وأن لا نستصغر الذنوب، فربما هناك ذنب صغير لكنه يوجب سقوط الإنسان.

---

(١) أنظر: الكافي ٢: ٢٨٨/ ح ٣.

ذنب يوسف C :

فيوسف C مثلاً لم يصدر منه ذنب، ولكن صدر منه خطأ فني، وذلك حينما دخل عليه أبواه وخرّوا له سجداً و يوسف على العرش في مصر، الرواية تقول أن جبرائيل نزل وقال: يا يوسف أبسط يدك، فبسط يوسف يده، فخرج منها نور إلى عنان السماء، فقال: أخي جبرائيل ما هذا النور؟

قال: هذا نور النبوة ذهب من عقبك، فلا يكون من ذريتك نبي.

فقال يوسف: لماذا يا جبرائيل؟

قال لأنك سمحت أن يسجد أبواك بين يديك، وهذه العقوبة من الله لأنك نبي والمفروض أن تقوم لهما أنت وتستقبلهما.(١)

فهنا قد يقول البعض إن هذا خطأ بسيط، لكن هذا الخطأ البسيط بالنسبة إلى مقام الإنسان النبي كبير جداً فقد يسلب الإنسان توفيقه بسبب ذلك الخطأ.

ذات مرة رأيت واحداً من طلاب العلوم الدينية وهو جالس على كرسي بينما كان أبوه جالساً إلى جانبه على الأرض، لقد أدركت أن هذا خطأ كبير، وربما مثل هذا الطالب سوف يُسلب التوفيق لكثير من الخير، لأنه لا ينبغي أن يسمح لنفسه بمثل هذا العمل.

* * *

(١) أنظر: علل الشرائع ١: ٥٥/ باب العلة التي من أجلها لم يخرج من صلب يوسف نبي.

التأمل الثاني والخمسون:

درجات المتقين وسلالم الصعود

قال تعالى في كتابه الكريم: [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ].(١)

الجنّة لها مقامات ودرجات، قال تعالى: [وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ].(٢)

وفي تلك المواقع والمقامات هناك درجات ومراتب، قال تعالى: [وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً].(٣)

المتقون في مقام أَمين، أي فيه أمن وسلامة لكن هذا المقام فيه درجات ومراتب، ولأجل ذلك يجب أن يتنافس المؤمنون والمؤمنات في تلك الدرجات.

درجات الجنّة:

لا يقول قائل: يكفي أن أدخل الجنّة، فالجنّة فيها مقامات ودرجات ينبغي السعي للحصول على المراتب العالية، فقد ورد عن

(١) الدخان: ٥١ - ٥٥.

(٢) الصافات: ١٦٤.

(٣) الإسراء: ٢١.

رسول الله 9 : «الدرجة في الجنّة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره، فيفزع لذلك ويقول: إلهي ما هذا؟ فيقال له: هذا نور أخيك فيقول: هذا أخي فلان، كنا نعمل جميعاً في الدنيا، وقد فضّل عليّ هكذا! فيقال: إنه كان أفضل منك عملاً»(١) ثمّ يجعل في قلبه الرضا حتّى يرضى.

سُلّم الصعود:

ما هو سُلّم الصعود للحصول على هذه المقامات؟

هناك ثلاثة سلالم:

الأوّل: هو العمل.

والثاني: هو القرآن.

والثالث: هو الصبر.

فالعبد العامل أفضل من غيره وأعلى مرتبةً منه في الجنّة، وتلاوة القرآن وإن كانت من العمل ولكننا نفرده بالذكر للروايات التي تؤكد عليه، فعن الإمام الصادق C قال: «عليكم بتلاوة القرآن فإن درجات الجنّة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: إقرأ وارقَ».(٢)

السلّم الثالث هو البلاء والصبر عليه، فبعض الناس أعمالهم قليلة لكنهم مبتلون بمرض أو فقر أو زوج مؤذ أو جار مؤذ أو غير ذلك من

(١) مكارم الأخلاق: ٤٥٨ - ٤٦١؛ عنه بحار الأنوار ٧٤: ٧٨.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٤١/ ح ٥٨٦/١٠.

أنواع البلايا، فعن رسول الله 9 : «إن للجنّة منازل لا ينالها العباد بأعمالهم...»، فقيل: يا رسول الله مَن أهلها؟

قال 9 : «أهل البلايا والهموم».(١)

التنافس على الدرجات:

وعن الإمام زين العابدين C قال: «معاشر شيعتنا أما الجنّة فلن تفوتكم، سريعاً كان أو بطيئاً، لكن تنافسوا في الدرجات...»(٢) وفي هذه الرواية بشارة بدخول الجنّة، ولكن نرجو أن يكون سريعاً وبدون عذاب وحساب ولا يكون بطيئاً، حيث يمكن أن يبقى الإنسان في العذاب مئات السنين بسبب الذنوب والمعاصي ثمّ يدخل الجنّة بعد ذلك، فلا يقول أحدكم أنا من الشيعة وسأدخل الجنّة، هذا غير صحيح لأننا يجب أن ندخل الجنّة سريعاً وبلا حساب [ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ].(٣)

* * *

---

(١) بحار الأنوار ٧٨: ١٩٤.

(٢) بحار الأنوار ٧١: ٣٠٨/ ح ٦١.

(٣) الحجر: ٤٦.

التأمل الثالث والخمسون:

التقوى وأسباب الهدى

قال الله تعالى: [الم * ذلكَ الْكتَابُ لا رَيْبَ فيه هُدىً للْمُتَّقينَ].(١)

الهدى من الله تبارك وتعالى إنما هو لمجموعة من الناس أسماهم المتقين.

طوائف لا يهديهم الله:

هناك طوائف من الناس لا يهديهم الله، وهناك طوائف يهديهم الله، القرآن الكريم يقول: [وَاللَّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمينَ].(٢)

هذه هي الطائفة الأولى التي لا يهديهم الله.

[وَاللَّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْفَاسقينَ](٣) هذه هي الطائفة الثانية.

[وَاللَّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْكَافرينَ](٤) هذه الطائفة الثالثة.

[وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدي كَيْدَ الْخَائنينَ](٥) هذه هي الطائفة الرابعة، الخيانة في العمل، حتّى إذا كان الشخص مسلماً لكنه يمكن أن يكون

(١) البقرة: ١ و٢.
(٢) البقرة: ٢٥٨.
(٣) المائدة: ١٠٨.
(٤) البقرة: ٢٦٤.
(٥) يوسف: ٥٢.

خائناً، فإن الله لا يهدي كيد الخائنين ولا يوفقهم ولا يفلحون، هذه الطائفة الرابعة.

[إنَّ اللَّهَ لا يَهْدي مَنْ هُوَ مُسْرفٌ كَذَّابٌ](١) هذه هي الطائفة الخامسة، حتّى لو كان عنوانه مسلماً، مؤمناً، لكن هذا السقوط الأخلاقي سلب عنه الهداية الإلهية، فإن الله تعالى يعطي الهداية لذلك الإنسان الملتزم أخلاقياً وعقائدياً، حينئذ يكون القرآن هداية له، [هُدىً للْمُتَّقينَ].

اختصاص الهدى:

يمكن أن نقول: إن الهدى يختص بالمتّقين والبقية من الناس لا يعطيهم الله هدى.

القرآن الكريم يبين _ كأسباب للهدى _ مجموعة عناوين يترتب عليها الهدى:

العنوان الأوّل: التقوى، حيث قال تعالى: [هُدىً للْمُتَّقينَ].

العنوان الثاني: الطاعة، حيث قال تعالى: [وَإنْ تُطيعُوهُ تَهْتَدُوا](٢) إذن الطاعة لله ولرسوله ولأوليائه هي شرط الهدى.

العنوان الثالث: هو الاتباع، حيث قال تعالى، في آية أخرى: [يَهْدي به اللَّهُ مَن اتَّبَعَ رضْوَانَهُ].(٣)

إذن حتّى نحصل على الهدى من الله ويكون القرآن هدى لنا،

(١) غافر: ٢٨.
(٢) النور: ٥٤.
(٣) المائدة: ١٦.

ونهتدي يوم القيامة إلى دار الخلد وسبل السلام ونصل إلى الجنّة نحتاج إلى تقوى واتّباع وطاعة.

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المطيعين لأوليائه، المطيعين لله ولرسوله ولأولياء الله، المتّبعين لهم فيما يأمرون وينهون.

الطاعة للقيادة:

نحن لسنا أحراراً في تصرفاتنا، كل واحد منّا يقرأ القرآن، أنا أصلي وأصوم، هل انتهى الأمر لأقول أنا من المتقين والمهتدين؟

لا ليس كذلك، الإسلام يريد إضافة إلى الالتزام بهذه العناوين صلاة وصوم وما شاكل يريد شيئاً آخر وهو اتباع القيادة، فلا بدّ أن توجد قيادة نطيعها، ولهذا فإن الإسلام والقرآن يؤكد [وَإِنْ تُطِيعُوهُ] ولم يقل تطيعوا الله فقط، فلو كان كذلك فإن هذا القرآن كاف، صلاة وصوم وما شاكل، هذا هو أطيعوا الله، فلماذا يقول: أطيعوا الرسول؟

لأن الرسول عنده شيء آخر ألا وهي أوامر وتكاليف ميدانية سياسية اجتماعية، هنا يحتاج إلى الطاعة أيضاً.

اليوم نحتاج إلى الطاعة للقيادة الدينية في تشخيص ما هو التكليف الميداني، القيادة الدينية عندها شيء آخر غير الصلاة والصوم، الصلاة والصوم الله يأمر بها وكل الناس يعرفون القرآن حيث يأمر بهما، لكن نحن ماذا نأخذ من

مراجع الدين من رسول الله والأئمّة الأطهار؟ نأخذ شيئاً آخر، هي تكاليف عملية ميدانية، وهذا هو الذي يفسّر معنى [أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ].(١)

نسأل الله أن يرزقنا التقوى، والطاعة لمن يستحق علينا الطاعة وهم أئمّة الهدى سواءاً الإمام المعصوم أو نائب الإمام المعصوم.

* * *

(١) النساء: ٥٩.

التأمل الرابع والخمسون:

مقامات المتقين ومراتب التقوى

قال تعالى: [الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ].(١)

المتقون هم أولياء الله تعالى، وحينما يكون الإنسان ولياً لله ويكون الله وليه، فإن لهذا الإنسان مقامات ومنازل عظيمة لا يمكن للإنسان بحدود ادراكاته المادية أن يحصيها ويصفها.

القرآن يقدم وصفاً موجزاً حيث يقول: [فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ](٢) لا يمكن لنفس من النفوس أن تدرك ما أعد الله للمتقين ولأوليائه من منازل عظيمة.

منازل المتقين:

ومع ذلك هناك مجموعة منازل ومقامات للمتّقين يذكرها القرآن على شكل عناوين:

المقام الأوّل: أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قال تعالى: [أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ].(٣)

(١) يونس: ٦٤.

(٢) السجدة: ١٧.

(٣) يونس: ٦٢.

المقام الثاني: لهم قدم صدق، أي موقع صدق، ولكن دون أن نعرف سعة هذا الموقع، هل سعته السموات والأرض أم اكبر، لا توجد تفاصيل أكثر مما ذكر، قال تعالى: [وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ].(١)

المقام الثالث: البقاء بالله، يعني الأبدية، فكما أن الله أزلي وأبدي كذلك الإنسان المتقي يكون أبدياً، والدليل على ذلك كما يذكره العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان في رسالة مهمة جداً هي (رسالة الولاية) يقول:

إن المتقين يبقون بالله، بدليل أن الله تبارك وتعالى قال: [أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ] والقرآن يقول: [ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ]،(٢) والمتقون عند الله، فهم باقون ببقاء الله.(٣)

المقام الرابع: التمكن في وجه الله، ففي الدنيا نقول إن الأنبياء والأئمّة G هم وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء، فالمتقي يوم القيامة يكون متمكناً وسابحاً في وجه الله تعالى، وهو معنى عظيم والقرآن يشير إليه بقوله: [كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ](٤) وبما أن المتقي غير هالك يوم القيامة بدليل قوله تعالى: [ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ] إذن المؤمن يتحول يوم القيامة إلى وجه الله.

(١) يونس: ٢.

(٢) النحل: ٦٩.

(٣) تفسير الميزان ١١: ٢٩٩.

(٤) القصص: ٨٩.

المقــام الخــامس: جمــع صــفات الجمــال والجــلال للمتّقــي يــوم القيامــة، أي تجمــع لــه كــل الــصفات الإلهيــة عنــدما يفنــى فــي الله، بــدليل قولـه: [كُلُّ مَـنْ عَلَيْهـا فـانٍ * وَيَبْقـى وَجْـهُ رَبِّـكَ ذُو الْجَـلالِ وَالإِكْرامِ](١) فـإذا تحـول المتّقـي إلـى وجـه الله فإنـه يكـون غيـر فـان ويكـون هـو ذو الجـلال والإكـرام وتـسلّم عليـه الملائكـة يـوم القيامـة بهـذا الـشكل: «الـسلام علـى الحي الذي لا يموت من الحي الذي لا يموت».

المقــام الــسادس: القـرب مـن الله، وقـد أُشـير إليـه بقولـه تعـالى: [وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ].(٢)

المقــام الــسابع: كـشف الغطـاء عـن ملكـوت الـسماوات والأرض بحيـث يكـون كـل الوجـود فـي مـشهد المتّقـي وبـين عينيـه، قـال تعـالى: [كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ...].(٣)

المقــام الثــامن: جعـل النـور فـي حيـاتهم، وهـو أعظـم مـن النـور المـادي، وقـد أشـار إليـه بقولـه تعـالى: [أَوَ مَـنْ كـانَ مَيْتـاً فَأَحْيَيْنـاهُ وَجَعَلْنـا لَـهُ نُوراً يَمْشِي بِـهِ فِي النَّـاسِ](٤) وهـو معنـى عظيـم، يعنـي أن المـؤمن يمـشي بـين النـاس بنـور الله تعـالى، أمـا غيـر المـؤمنين فيمـشون فـي الظلمـات غيـر خـارجين عنهـا، نـسأل الله أن يجعلنـا مـن المتقـين ويرزقنـا الفـوز بهـذه المقامات العظيمة.

---

(١) الرحمن: ٢٦ و٢٧.

(٢) الواقعة: ١٠ و١١.

(٣) المطففين: ١٨ و١٩.

(٤) الأنعام: ١٢٢.

مراتب التقوى :

والتقوى على مراتب:

المرتبة الأولى: هي الورع عن المحرّمات.

والمرتبة الثانية: هي الورع عن المكروهات.

والمرتبة الثالثة: هي الورع عن المباحات التي لا ضرورة لها.

والمرتبــة الرابعــة: الــورع عــن التفكيــر بالمعاصــي والمكروهــات وهي مرتبة عالية.

وهنـاك مرتبـة خامـسة: وهـي مرتبـة إخـلاء القلـب ممـا سـوى الله، بحيـث لا يوجـد فـي قلـب المتقـي سـوى الله، ولا يفكّـر إلاّ بـالله ومـا يريـده الله تعـالى حتّـى لـو كـان علـى حـساب مـصلحته، وهـي مرتبـة الفنـاء فـي الله تعــالى والخــوض فــي سَــبُحات الله، نــسأل الله أن يرزقنــا هــذه المراتــب ويوفقنا إليها .

* * *

التأمل الخامس والخمسون:

الأسلوب القرآني في التشويق للتقوى

قال تعالى: [مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكافِرِينَ النَّارُ].[1]

الجنّة هي عاقبة المتقين، والنار عاقبة الكافرين، ويحدّثنا القرآن بهدف التشويق والدعوة للتقوى عن العاقبة للمتقين والمؤمنين، وهي الجنّة وما فيها.

قال تعالى: [أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها]، القرآن مشحون بوصف الجنّة التي أعدّت للمتقين.

وقال تعالى: [وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ].[2]

وقال تعالى: [تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا].[3]

في الجنّة مشاهد وحقائق جميلة يقول عنها القرآن: [فِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ][4] ويقول: [فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ].[5]

---

(١) الرعد: ٣٥.

(٢) ق: ٣١.

(٣) مريم: ٦٣.

(٤) الزخرف: ٧١.

(٥) محمّد: ١٥.

ويقول أيضاً:

[وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ][1] أي: كل ما يريدون.

[وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً].[2]

[لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً].[3]

[لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً].[4]

كأن القرآن يقول إن الإنسان في الجنة يستطيع أن يخلق كل ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والحور العين، يجعله الله تعالى يقول للشيء كن فيكون بلا حدود، وهو إشارة إلى قدرة الإنسان الكبيرة وما يريد صنعه لنفسه بإرادته .

عمل تدخل به الجنّة:

تقول الرواية: جاء أعرابي إلى رسول الله 9 وهو خارج إلى غزوة، فأخذ بزمام الراحلة وقال: يا رسول الله 9 علمّني عملاً أدخل به الجنّة.

فأجابه النبي 9 :«ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم، وما كرهت أن يأتيه منهم إليك فلا تأته إليهم، يا أعرابي خلّ سبيل الراحلة»[5] وهذا درس أعطاه النبي للأعرابي لم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة.

---

(١) يس: ٥٧.

(٢) الإنسان: ١٤.

(٣) الواقعة: ٢٥ و٢٦.

(٤) الإنسان: ١٣.

(٥) أنظر: الكافي ٢: ١٤٦/ ح ١٠.

التقابل في الآخرة:

يجعل القرآن تقابلاً بين جزاء المتقين والعاصين بقوله:

[تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ](١) فهناك جزاء للمتقين وهو الجنّة، وجزاء للعاصين وهو النار.

وكما قال تعالى: [أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ].(٢)

وأمير المؤمنين C يذكرنا بالجنّة والنار في كلماته وخطبه حينما يقول: «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته... ثمّ قال: آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى...».(٣)

اللهم إنّا نعوذ بك من النار اللهم إنّا نسألك الأمان يوم القيامة. اللهم لا تغيّر خلقي بالنار.

قرب الجنّة والنار:

يقول رسول الله 9 : «اعلموا أن الجنّة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله»(٤) وهي حقيقة عجيبة كشفها رسول الله 9 ، وهو لا يعني أن الموت قريب منكم فهو بحث آخر، بل يريد القول أنكم محاطون بالجنة وبالنار ولكن لا تعلمون لعدم رؤيتكم لهما.

(١) الرعد: ٣٥.

(٢) فصلت: ٤٠.

(٣) أمالي الصدوق: ١٣٨.

(٤) كنز العمال: ١٥/ ٩٣٦؛ ميزان الحكمة ١: ٤٧٧.

النجاة بحبهم G :

الإمام الباقر C أجاب بعض أصحابه حينما قال له: إنني ألمّ بالذنوب حتّى إذا ظننت أني قد هلكت ذكرت حبكم فرجوت النجاة وتجلى عني، فقال C : «وهل الدين إلاّ الحب؟... أما إنها لو كانت فزعة من السماء فزع كل قوم إلى مأمنهم وفزعنا إلى نبينا وفزعتم إلينا».(١)

* * *

(١) الكافي ٨: ٨٠/ ح ٣٥.

التأمل السادس والخمسون:

أعظم بشارة للمتقين

قال الله تعالى: [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ][1] لعل هاتين الآيتين الكريمتين من آخر سورة القمر من أعظم ما بشّر الله به المتّقين، وفيهما أربع مفردات نمرُّ عليها سريعاً، جنات، نهر، مقعد صدق، عند مليك مقتدر.

المفردة الأولى: جنّات:

القرآن الكريم يستخدم الجنّة مرّة بالجمع، ومرة بالمثنى، ومرة بالمفرد.

مرة يقول: [وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ][2] هذا مفرد.

ويقول: [وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ] [فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ][3] وفي آية أخرى: [فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ][4] هذا مثنى.

في نمط ثالث من الاستعمال القرآني بالجمع قوله تعالى: [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ].

هذا التعدد في الاستعمال: جنّة، جنّتان، جنّات، ليس فيه شيء

---

(١) القمر: ٥٤ و٥٥.

(٢) ق: ٣١.

(٣) الرحمن: ٦٦.

(٤) الرحمن: ٥٠.

من التضاد، وإنما فيه إشارة إلى جنّة واسعة عريضة عرضها السماوات والأرض، حينما تكون هذه الجنّة الواسعة نصيب الإنسان إذن يكون قد أُعطي جنّة وجنتين وجنات، كل هذه الاستعمالات صحيحة، كما لو قلت لشخص: أعطيك أرضاً واسعة، فإنها يمكن أن تكون قطعة واحدة، ويمكن أن تكون قطعتين من هذه الأرض الواسعة، ويمكن أن تكون من ثلاث قطع، وكلها صحيح.

الجنّة التي عرضها السماوات والأرض هي جنّة واحدة، لكن في داخل هذه الجنّة جنتان، ثلاثة، وعشرة، القرآن يريد أن يتجاوز فكرة العدد ومقولة العدد، فإن قلت عشر جنّات صحيح، وإن قلت مئة جنّة صحيح، وإن قلت جنّتين صحيح، وإن قلت جنّة صحيح، هذه هي المفردة الأولى في الآية.

المفردة الثانية: النَهَر:

وتعني في العربية: الماء الذي يجري في المسيل الواسع كما هو الاستعمال الشائع عندنا، ويعني أيضاً العطاء الجاري سواء كان ماءاً أو غير ماء، مثل أنهار من لبن أو أنهار من خمر لذة للشاربين، والمقصود هنا هو العطاء الإلهي الذي لا ينفد ولا ينتهي.

الإنسان يوم القيامة إذا كان في الجنّة فماذا يصنع بأنهار من لبن أو أنهار من خمر؟ فهو لا يريد أن يسبح فيها، بل هي إشارة إلى العطاء السيّال الذي لا ينفد ولا ينتهي.

ويمكن أن يعني لغويا بكلمة النهر الفضاء والسّعة المطلقين من كل حد، وهذا المعنى ينسجم أيضاً مع العطاء الإلهي الذي لا ينفد.

المفردة الثالثة: مقعد الصدق:

هـذه الكلمـة لهـا عـدة معـان: الأوّل: يعنـي مجلـس الـصادقين، ونـسب الوصـف إلـى المجلس بينما الـصدق هـو صـفة الجالـسين أنفـسهم، فمـثلاً عنـدما نقـول مجلـس صـلاة الجمعـة ونعنـي بـه مجلـس المـصلّين، ومجلس الذكر ونعني به مجلس الذاكرين.

والمعنـى الثـاني لمقعـد صـدق: أي موقـع صـدق لـيس فيـه كـذب أو شـائبة نقـص أو حاجـة أو عـدم، لأن أي نقـص هـو درجـة مـن درجـات الكـذب، فـأي حاجـة أو نقـص أو مـشكلة يعنـي يوجـد كـذب فـي القـضية، أمـا الـصدق المطلـق الـذي لا نقـص فيـه، فهـو مـن صـفات هـذا المجلـس، هـذا الأمـر ينـسجم مـع تفـسير النهـر بالفـضاء والـسعة والمطلـق، وينـسجم مـع قوله تعالى: [وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ].(١)

وقولـه تعـالى: [لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ]،(٢) فكـل مـا تريـده موجـود أمامـك بـلا كـذب ولا وهـمّ ولا دجـل ولا نقـص، فبمجـرد أن تتـصور الطيـر المـشوي مـثلاً فإنـه يحـضر أمامـك، فمقعـد الصدق إشارة إلى هذا المجلس الذي لا نقص فيه.

وهــذا مــا تؤكــده بعــض الروايــات الــشريفة، وتــضيف أن فــي الجنّـات فتيـات جمـيلات وحـور عـين مغروسـات فـي الأرض علـى شـكل مجموعــة ورود، فكــل مــا تتــصوره فــي ذهنــك وتــشتهيه يكــون حاضــراً عندك، هذا كله في مقعد صدق.

---

(١) الواقعة: ٢٠ و٢١.

(٢) فصلت: ٣١.

المفردة الرابعة: عند مليك مقتدر:

فالإنــسان حينمــا يجلــس عنــد ملــك الملــوك المقتــدر الــذي لا يعجـزه شـيء، هـذا الجلـوس يعنـي أن كـل الأمـور حاضـرة وجـاهزة لديـه، فتـصور لـو أنـك تجلـس ضـيفاً عنـد ملـك الملـوك المقتـدر الكـريم فكـل شـيء يكـون حاضـراً عنـدك، ولهـذا قلنـا أن الآيتـين الـسابقتين لعلهمـا مـن أعظم الدلالات على بشارات المتّقين عند ربهم.

ففــي الروايــة عــن رســول الله 9 التــي يرويهــا جــابر الأنــصاري يقـول: بينـا رسـول الله 9 يومـاً فـي مـسجد المدينـة ذكـر بعـض أصـحابه الجنّـة، فقـال أبـو دجانـة: يـا رسـول الله سـمعتك تقـول: «الجنّـة محرمـة علـى النبيـين وسـائر الأمـم حتّـى تـدخلها»، فقـال لـه: «يـا أبـا دجانـة أمـا علمـت أن الله U لــه لــواء مــن نــور... مكتــوب علــى ذلــك اللــواء: (لا إلــه إلا الله، محمّــد رســول الله، آل محمّــد خيــر البريــة) صــاحب اللــواء علــيّ أمـام القـوم». فقـال أبـو دجانـة: الحمـد لله الـذي هـدانا بـك. فقـال النبـي 9: «يـا أبـا دجانـة أمـا علمـت أن مـن أحبنـا وانتحـل بمحبتنـا أسـكنه الله تعـالى معنـا، ثمّ تلا قوله تعالى: [فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ](١)».

اللهــم اجعلنــا مــن المتقــين، واجعلنــا مــن الــذاكرين، واجعلنــا ممــن نصيبهم جناتٍ ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

* * *

---

(١) المحتضر: ٩٧؛ عنه بحار الأنوار ٢٧: ٣١.

التأمل السابع والخمسون:

طموحات المؤمنين

قال تعالى: [وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً].(١)

الأسوة الحسنة:

المؤمنون لهم طموحات:

الطموح الأوّل: أن يكونوا من المتّقين.

الطموح الثاني: أن يكونوا أسوة حسنة وقدوة مثلى للمؤمنين والمتّقين، فطالب المدرسة مثلاً يجب أن يكون له طموحات: الأوّل: النجاح في المدرسة، والثاني: التفوق في النجاح والحصول على المرتبة الأولى وهو الطموح الأكبر، والقرآن يريد أن يعلّمنا ذلك في أن نكون من المتّقين، ثمّ نطمح في أن نكون قدوة حسنة وأئمّة للمتّقين، والإمامة تعني القدوة والأسوة والنموذج الذي يُقتدى به، وهو المطلوب من كل مؤمن أن يصبح مثلاً حسناً للآخرين.

وهناك معنى آخر غير مشهور للآية: [وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً] ذكره بعض المفسرين، هو بمعنى: آمّين وتابعين، وهو معنىً بعيد عن ظاهر العبارة.

(١) الفرقان: ٧٤.

الاهتمام الأسري:

والآية تشير إلى الشأن الأُسري وأهميته وتدعو للاهتمام به، كما تشير إلى الشأن الشخصي، ولهذا تقول الآية: [رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ] هنا المقصود بالاهتمام الأُسري أن يكون طموح الإنسان تكوين أسرة من المتّقين وليس لنفسه فقط، فالإنسان يطمح أن تقرّ عينه بالذرية الصالحة والزوجة الصالحة حتّى تكتمل سعادته في البيت. بالأمس جاءني شخص وقال: أنا أدعو ابني للصلاة لكنه لا يستجيب، فما العمل؟

الجواب: أن التفكير لمعالجة هذه المشكلة من قبل الأب موقف صحيح، ومطلوب عليه أن يراقب بمن يلتقي ولده؟ وأين يذهب؟ ومن يجالس؟ لأن الصديق له تأثير كبير في سلوك الولد. وهذه الخطوة الأولى، أما الخطوة الثانية فهي التوجيه والارشاد والنصح للولد بما يستطيع، ويدخل ذلك في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّى يُعذر يوم القيامة أمام الله تعالى.

والآية: [وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً] ليس المقصود منها هو الزوج فقط، بل المقصود الزوج والزوجة، وكلاهما يطلب الذرية الصالحة والأزواج الصالحين، وهذا الدعاء الوارد في الآية هو دعاء إبراهيم الخليل C وأنصح إخواني المؤمنين والمؤمنات بهذا الدعاء في أوقات الصلاة وغيرها وهو: [رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ].(١)

(١) إبراهيم: ٤٠.

جزاءان لهذا الدعاء:

الأوّل هـو: [فَأُوْلَئِـكَ يُبَـدِّلُ اللَّـهُ سَـيِّئَاتِهِمْ حَـسَنَات][١] وهنـا أذكـر الروايـة الـواردة عـن رسـول الله 9 قـال: «مـا جلـس قـومٌ يـذكرون الله إلاّ نـاداهم منـاد مـن الـسماء: قومـوا فقـد بـدّلت سـيئاتكم حـسنات وغفـرت لكم جميعاً...»[٢].

أمـا الجـزاءُ الثـاني فهـو الغُرفـة، قـال تعـالى: [أُوْلَئِـكَ يُجْـزَوْنَ الْغُرْفَـةَ بِمـا صَـبَرُوا وَيُلَقَّـوْنَ فِيهـا تَحِيَّـةً وَسَـلاماً][٣] والغرفـة تعنـي البنـاء المرتفـع العـالي المـشرف علـى منظـر جميـل ووديـان وسـهول وميـاه، وهـو جـزاء المتقـين، فهناك تكريم ومباركة وتحية من قبل الملائكة.

اللهم اجعلنا من المتّقين، واغفر لنا يوم الدين.

* * *

(١) الفرقان: ٧٠.

(٢) عدّة الداعي: ٢٣٨.

(٣) الفرقان: ٧٥.

التأمل الثامن والخمسون:

وجود الجنّة والنار

قال الله تعالى: [وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ](١) أي قُرّبت الجنّة وأُظهرت الجحيم.

مواضع متكررة:

هذا المعنى يتكرر في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

الأوّل: في سورة الشعراء كما قرأناه الآن في الآية السابقة.

الثاني: في سورة (ق)، قال تعالى: [وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ].(٢)

الثالث: في سورة التكوير، قال تعالى: [وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ].(٣)

هذا المعنى القرآني يعتبر أحد الدلائل والشواهد القرآنية على بحث قرآني وهو: هل الجنة والنار موجودتان بالفعل أم ستوجدان فيما بعد ؟ أي هل هما مخلوقتان أم ستخلقان ؟

قد يتصور البعض أن هذا البحث أقرب إلى الترف الفكري،

(١) الشعراء: ٩٠ و٩١.

(٢) ق: ٣١.

(٣) التكوير: ١٣ و١٤.

لكن الحقيقة أن هذا البحث له دلالات مهمة جداً وهي اكتشاف حقيقة الآخرة، هل هي نفس حقيقة الدنيا أم أن لها حقيقة أخرى؟

أدلة وجود الجنّة:

يميل العرفاء إلى القول بوجود الجنّة والنار بالفعل، ويستدلون على ذلك بعدّة أدلة:

الدليل الأوّل: هو الآيات السابقة التي أوردناها، فإن القرآن لم يقل: وخُلِقَت الجنَّة، بل قال: [وَأُزْلِفَتْ] أي: قُرّبت فهي موجودة ولكن ستقرَّب إلينا يوم القيامة، وكذلك النار عندما يقول: [وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ] أي أنها موجودة ولكنها ستظهر وتبرز يوم القيامة.

الدليل الثاني: هو قصة المعراج الثابتة في تراثنا الديني التي تنص على أن رسول الله 9 عُرج به إلى السماء، وهناك رأى الجنّة وما فيها والنار وما فيها، وشهد ملائكة يبنون ويتوقفون عن البناء فلما سألهم عن توقفهم قالوا: حتّى تأتينا النفقة، قال: وما هي النفقة؟ فقالوا: هي قول المؤمن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر.(١)

الدليل الثالث: روايات عالم القبر التي تقول أن المؤمن حينما يدخل القبر يُفتح له باب من قبره إلى الجنّة، ويشهد موقعه من الجنّة، ويقال له: ذلك موقعك في الجنّة، ثمّ يقال له: نم قرير العين، فينام نومة العروس.(٢)

(١) أمالي الطوسي: ٤٧٤/ ح ٤/١٠٣٥.

(٢) أنظر نص الرواية في: الكافي ٣: ١٣١/ ح ٤.

الـدليل الرابـع: المفهـوم القرآنـي الـذي تؤكـده كثيـر مـن الآيـات، وهـو أن الآخـرة هـي عبـارة عـن الانعكـاس لأعمـال الإنـسان فـي الـدنيا، فالجنّـة وحورهـا وقـصورها وسـائر نعيمهـا هـو انعكـاس لـصلاتنا وصـيامنا وسـائر الأعمـال الحـسنة الـصادرة منـا، والنـار هـي انعكـاس للـسرقة والفحـشاء والكـذب والنميمـة، فواقعنـا واقـع صـوري لتلـك الحقيقـة التـي تتجسد فـي الآخـرة، فالـصلاة مـثلاً لهـا صـورة هـي الركـوع والـسجود، ولهـا حقيقـة وواقـع سـنجده يـوم القيامـة وهـو عبـارة عـن مراتـب فـي الجنّـة، كـذلك النـار فالـذين لا يـؤدون الحقـوق الـشرعية ويكنـزون الأمـوال يقـال لهـم: [هَـذا مـا كَنَـزْتُمْ لأَنْفُـسِكُمْ فَـذُوقُوا مـا كُنْـتُمْ تَكْنِـزُونَ] [1] فتتحـول الأمـوال إلـى نيـران فـي الآخـرة، وهكـذا عنـدما يقـول: [فَمَـنْ يَعْمَـلْ مِثْقـالَ ذَرَّةٍ خَيْـراً يَـرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ]. [2]

اللهـم ارزقنـا خـشيتك فـي الليـل والنهـار، اللهـم اجعلنـا ممـن يخافـك فـي الـدنيا ويأمنـك يـوم القيامـة، اللهـم اجعلنـا مـن المتقـين الـذين لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون.

* * *

---

(١) التوبة: ٣٥.

(٢) الزلزلة: ٧ و٨.

التأمل التاسع والخمسون:

الصداقة الحقيقية

قال تعالى: [الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ * يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنا وَكانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ].[1]

إنّ التقوى هي التي تحفظ لنا الصداقة، [الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ] يعني يوم القيامة الناس بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين، الخلّة بمعنى الصداقة، والأخلاء جمع الخليل أي: الصديق.

أنواع الصداقة:

هناك ثلاثة أنواع من الصداقة:

١ _ الصداقة في الله والدين، وهي التي تدوم وتنفع يوم القيامة.

٢ _ الصداقة في الدنيا، وهو حلال كالأصدقاء في الدراسة والتجارة والمحلة الواحدة وما شاكل ذالك، وهذه الصداقة تنقطع ولا تدوم ولا تفيد يوم القيامة إلاّ بمقدار ما كان فيها من محبة وإحسان على أسس إنسانية وبعيداً عن الأنانية.

(١) الزخرف: ٦٧ - ٧١.

٣ _ الصداقة في الحرام وفي غير الدين، وهي التي تزول وتتحول إلى عداوة يوم القيامة.

الأخلاء الثلاثة:

يقول الإمام الصادق C : «ألا كل خلّة كانت في الدنيا في غير الله U فإنها تصير عداوة يوم القيامة».[1]

أمير المؤمنين C له تحليل جميل ورائع حيث يقول: «إن للمرء المسلم ثلاثة أخلاء: فخليل يقول له: أنا معك حياً وميتاً، وهو عمله، وخليل يقول له: أنا معك حتّى تموت، وهو ماله فإذا مات صار للورثة، وخليلٌ يقول له: أنا معك إلى باب قبرك ثم أخليك، وهو ولده».[2]

خليلان مؤمن وكافر:

هناك رواية مفصّلة وجميلة عن أمير المؤمنين C أقرأ لكم بعضها:

عن عليّ C قال في خليلين مؤمنين، وخليلين كافرين، ومؤمن غني، ومؤمن فقير، وكافر غني وكافر فقير: «فأما الخليلان المؤمنان فتخالا حياتهما في طاعة الله تبارك وتعالى وتباذلا وتوادا عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه، فأراه الله منزلته في الجنّة يشفع لصاحبه، فقال: يا رب خليلي فلان كان يأمرني بطاعتك، ويعينني عليها، وينهاني عن معصيتك، فثبته على ما ثبتني عليه من الهدى حتّى تريه ما أريتني، فيستجيب الله له حتّى يلتقيا عند الله U، فيقول كل

(١) بحار الأنوار ٦٧: ٢٧٧.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٠/ ح ١٦٧.

واحد منهما لصاحبه: جزاك الله من خليل خيراً.. وأما الكافران فتخالا بمعصية الله وتباذلا عليها وتوادا عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه فأراه الله تبارك وتعالى منزلته في النار، فقال: يا رب فلان خليلي كان يأمرني بمعصيتك وينهاني عن طاعتك، فثبته على ما ثبتني عليه من المعاصي حتّى تريه ما أريتني من العذاب، فيلتقيان عند الله يوم القيامة يقول كل واحد منهما لصاحبه: جزاك الله من خليل شراً... قال: ثمّ قرأ: [الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ]...»[(١)].

أي أنّ المؤمن يدعو الله للمؤمن، والكافر يدعو على الكافر.

أوصيكم أيها الشباب بالصداقة في الله، ابحثوا عن الصديق الذي ينفعكم ولا يضركم، فكم من شخص يدخل جهنم نتيجة صديق السوء، ابحثوا عن ذاك الصديق النافع والمجلس النافع والكلمة النافعة، [يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ]، اللهم اجعلنا من المتقين.

* * *

(١) بحار الأنوار ٧: ١٧٣/ ح ٤.

التأمل الستون:

الــتـقــوى هــي الــتي تــصل إلى الله

قال تعالى: [لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ].[1]

هــذه الآيــة مــن ســورة الحــج تقــول إن الــصدقات والأضــاحي والقــرابين التــي يقـدمها الإنـسان بنحـو عـام أو الحـاج عنـد الحـج لـن ينـال الله لحومُهــا ولا دماؤهــا، يعنــي أن لحــوم الأضــاحي التــي تــذبح قربــة لله والـدماء لا تـصعد إلـى الله، فالـذي يعـرج إليـه هـو حالـة التقـوى فـي نفـس الإنسان الذي يضحي.

إن هـذه الفكـرة وهـي أن التقـوى هـي التـي يقبلهـا الله تعـالى مقـررة في القرآن أكثر من مرة، فمرة يقول: [إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ].[2]

ومرة يقول: [وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً][3] فغير المؤمنين يحسبون أن لـديهم أعمـالاً كثيـرةً، والله تعالى يقـول: [وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً] لعدم وجود التقوى فيه.

ومرة يقول: [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ][4] الكلم الطيب

(١) الحج: ٣٧.

(٢) المائدة: ٢٧.

(٣) الفرقان: ٢٣.

(٤) فاطر: ١٠.

هو الكلام الطيب والاعتقاد الطيب وهو الذي يصعد إلى الله، والعمل الصالح يرفع الكلام الطيب والاعتقاد الطيب إلى الله، فالبحث يكون عن التقوى وعن ذلك العمل الصالح والاعتقاد الطيب وليس عن الشكليّات والعناوين والكثرة فهي تكون هباء يوم القيامة إذا خلت من التقوى.

ضرورة الورع:

ولهــذا تقــول الروايــة التــي يرويهــا أبــو حمــزة الثمــالي عــن البـاقر C فـي تفسير قولـه تعـالى: [وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً] يقـول: «يـا أبـا حمـزة إنهـم كـانوا ليـصومون ويـصلون، ولكـن كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه».[1]

ففــي الوقــت الــذي تــصل يــده للــسرقة يــسرق ويرتــشي ويأكــل الحـرام، وهـذا يعنـي عـدم وجـود التقـوى فـي أعمالـه وإلاّ لمـا ارتكـب هـذه المحرمات الشرعية.

ويكمل الإمام قوله: «وإذا ذكر لهم شيء من فضل أمير المؤمنين C أنكـروه» فهـؤلاء ليـسوا مـستعدّين لتـصديق أقـوال رسـول الله 9 إذا كانـت لا تـنفعهم، وهـذا يعني عدم امتلاكهم موضوعية علمية، وعدم امتلاكهم التقوى العلميـة، أي حتّـى فـي مجال الروايـة والبحـث والتاريخ ليس لهـم تقـوى، ولـذا فهـم يسألون عن صدقاتهم وصلاتهم وبقية أعمالهم يوم القيامة فلا يرون لها أثـراً فـي الآخـرة، فيقـال لهـم: إن ذلـك لعـدم إخلاصـكم فـي العمـل لله، فكلهـا تكـون هبـاءاً منثـوراً، فقيمـة العمـل أيهـا المؤمنـون بمقـدار التقـوى التـي ترافقـه، نسأل الله أن يجعلنا من المتقين.

(١) تفسير القمي ٢: ١١٢؛ بحار الأنوار ٧: ١٧٦.

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.
نهج البلاغة: أمير المؤمنين C .
الصحيفة السجادية: الإمام السجاد/ ت مؤسسة الإمام المهدي/ قم/ ١٤١١ هـ .
الإرشاد: الشيخ المفيد/ ت مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث/ دار المفيد.
إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس/ مكتب الاعلام الاسلامي/ ط ١/ قم.
الأمالي: الشيخ الصدوق/ مؤسسة البعثة/ قم/ ط ١/ ١٤١٧ هـ .
الأمالي: الشيخ الطوسي/ مؤسسة البعثة/ قم/ ط ١/ ١٤١٤ هـ .
بحار الأنوار: المجلسي/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ ط ٢/ ١٤٠٣ هـ .
تحف العقول: ابن شعبة الحراني/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم/ ط ٢/ ١٤٠٤هـ .
تفسير القمي: عليّ بن إبراهيم القمي/ مؤسسة دار الكتاب/ قم/ ط ٣/ ١٤٠٤هـ .
تفسير مجمع البيان: الطبرسي/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت/ ط ١/ ١٤١٥هـ .
تفسير الميزان: السيد الطباطبائي/ جماعة المدرسين/ قم.
الخصال: الصدوق/ جماعة المدرسين في الحوزرة العلمية/ قم/ ١٤٠٣ هـ .
روضة الواعظين: الفتال النيسابوري/ منشورات الرضي/ قم.
الطرائف: السيد ابن طاووس/ مطبعة الخيام/ قم/ ١٣٩٩هـ .
عدة الداعي: ابن فهد الحلي/ مكتبة الوجداني/ قم.
علل الشرائع: الصدوق/ المكتبة الحيدرية/ النجف/ ١٣٨٥هـ .

عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب/ مط الحيدرية/ النجف/ ١٣٦٩هـ .
فضائل الأشهر الثلاثة: الصدوق/ دار المحجة البيضاء/ بيروت/ ط ٢/ ١٤١٢هـ .
الكافي: الكليني/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ ط ٣/ ١٣٨٨هـ .
كنز العمال: المتقي الهندي/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٤٠٦هـ .
المحتضر: حسن بن سليمان الحلي/ مط الحيدرية/ النجف/ ١٣٧٠هـ .
مسند أحمد: أحمد بن حنبل/ دار صادر/ بيروت.
مشكاة الأنوار: أبو الفضل عليّ الطبرسي/ دار الحديث/ قم/ ط ١.
مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي/ مؤسسة فقه الشيعة/ بيروت/ ط ١/ ١٤١١هـ .
مكارم الأخلاق: الطبرسي/ ط ٦/ ١٣٩٢هـ .
مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب/ مط الحيدرية/ النجف/ ١٣٧٦هـ .
ميزان الحكمة: الري شهري/ دار الحديث/ قم/ ط ١/ ١٤١٦هـ .
وسائل الشيعة: الحر العاملي/ مؤسسة آل البيت/ قم/ ط ٢/ ١٤١٤هـ .

* * *

فهرست الموضوعات

* * *